عباس الجراري

عبقرية اليوسي



الشركة الجديدة
دار الثقافة
الدار البيضاء

عبقرية اليوسي

عباس الجراري

عبقرية اليوسي



34-32 شارع فكتور هيكو
الهاتف 46·53·26 — 75·23·26
ص.ب. 4038 الدار البيضاء (المغرب)

الطبعة الأولى 1401 — 1981

الإهــداء

إلى كل مثقف يعي رسالته
وإلى كل حاكم يقدر مسؤوليته

ع الجراري



تصدير

يرجع اتصالي الأول باليوسي إلى فترة تبعد بنحو ثلاثين عاماً. وبالتحديد إلى غشت 1949، موافق ذي القعدة 1368. كنت يومئذ طفلاً في الحادية عشرة من عمري، أتأهب للالتحاق بالثانوي بعد أن اجتزت نهاية المرحلة الابتدائية؛ وكنت قد سافرت مع والدي حفظه الله رفقة أخي محمد إلى فاس وصفرو لقضاء جزء من عطلة صيف هذا العام في هاتين المدينتين وما في ضواحيهما من مصايف جميلة.

وإذا كان السيد الوالد قد سجل هذه السفرة[1] على عادته في تدوين رحلاته، وقد رجعت بالفعل إلى ما كتب عنها، فإني أذكر أننا في صفرو نزلنا ضيوفاً على القائد الحسن اليوسي[2] الذي كان صديقا لوالدي؛ وأذكر جيداً ذلك الصباح الباكر الذي خرجنا فيه على متن سيارة (جيب) كان يسوقها القائد، لزيارة ضريح اليوسي الواقع في قرية تبعد عن المدينة بنحو

---

(1) رحلتي الصيفية (مخطوطة لدى المؤلف)

2) هو الحسن بن حدو سعيد اليوسي، أحد كبار القواد في عهد الحماية، كان متصفاً بالغيرة والشهامة والوطنية. وقد تولى في فجر الاستقلال وزارة الداخلية ثم وزارة التاج. توفي بالرباط يوم الاثنين 20 يوليوز 1970 موافق 16 جمادى الأولى 1390، ونقل غد التاريخ إلى مسقط رأسه (نقلا عن «وفيات» مخطوطة للسيد الوالد. وقد تحدث عنه في أماكن متفرقة من «رحلتي الصيفية» وهي مخطوطة، كما تحدث عنه في «هذه مذكراتي» القسم الثاني ص 135، وهي مرقونة)

عشرين كيلومتراً . وهو يضم إلى جانب مدفنه قبور أبنائه عبد الله ومحمد (فتحا) وعبد الكريم . أما ابنه الرابع العربي ، فإنه مات بعيداً عن القرية ، فلم يدفن جوار إخوته وأبيه .

كان قوم غير قليلين ينتظروننا عند الوصول ، في حين كان عدد من التلاميذ الصغار داخل الضريح يتلون القرآن في الألواح . وكان الكبار منهم ينظرون في متون فقهية ونحوية يستعدون بدراستها واستظهارها للحاق برفقاء لهم سبقوهم إلى حلقات القرويين . وكان في هؤلاء وأولئك بعض من حفدة الشيخ .

وإذا كنت نسيت الكثير من جوانب هذه الزيارة ، فإني لم أنس الحوار العلمي والتربوي الذي أجراه الوالد مع تلاميذ هذه (المدرسة) وفقهائها ، وما كان يفعمه من فوائد وتوجيهات لم التقط يومئذ منها إلا القليل ؛ كما لم أنس الفطور الشهي الذي قدم لنا في رحاب الزاوية اليوسية قبل أن نعود إلى المدينة

وقد ظلت عالقة بذهني على الخصوص معلومات سمعتها في هذه الجلسة عن اليوسي وثقافته ومؤلفاته ومواقفه وما اكتسب من مكانة فرض بها وجوده على عصره وعلى التاريخ .

وأذكر أني حاولت بعد العودة إلى الرباط أن أنظر في كتاب «المحاضرات» ، ولكني سرعان ما أرجعته إلى مكانه ، ولم أعد إليه إلا بعد ثلاث أو أربع سنوات لأقرأ فصولاً منه كنت أجدها غير بعيدة في قالبها وأسلوبها وموضوعاتها عن المقالات التي تنشرها الصحف والمجلات .

* *

ثم تاقت نفسي بعد أن التحقت بالجامعة وأخذت أتدرج في مختلف مراحلها ، إلى الاطلاع على تاريخ المغرب السياسي والفكري وما أنتج

المغاربة قدامى ومحدثون في مختلف مجالات الإبداع . ولا أخفي أني كنت في هذه الفترة التي أفضت بي للتخصص في الأدب المغربي شغوفاً باليوسي . كثير التأمل في حياته وكتاباته .

وعلى الرغم من أني شغلت في إنجاز دراساتي العليا بمباحث أخرى ، فقد ظل اليوسي في طليعة الموضوعات التي أدرت عليها الدروس وحلقات البحث مع طلبتي في الجامعة ؛ وخاصة طلاب السلك الثالث عند أول تأسيسه في فاس سنة 1970 ، إذ قررت عليهم كتاب « المحاضرات » في مادة النصوص . وأشهد أن التجاوب كان كبيراً وعميقاً إلى حد أن معظم الذين نجحوا في امتحان السلك الثالث هذا العام رغبوا في أن يسجلوا تحت إشرافي رسائل في موضوعات تتصل باليوسي ، ولكني لم أكن أرى أن تنجز دراسات في جوانب قتلت بحثا ومناقشة طوال سنة كاملة . ولم أوافق منها إلا على موضوع كان ينصب على جمع « رسائل » اليوسي والعناية بها تحقيقاً ودراسة[3] ، وموضوع آخر يتعلق بأبي عبد الله محمد المرابط الدلائي[4]. في حين وجهت الطلبة الآخرين نحو موضوعات مختلفة كانت في نظري تتسم بالجدة والبكارة والأولوية.

وقد بدأت هذه الدراسات تعطي بعض الثمار ، بما نوقش منها ، وبما يضاف إليها سنة بعد أخرى من رسائل وأطروحات ، خاصة بعد أن تأسست شعبة للغة العربية وآدابها في كلية الرباط ، وعملنا جاهدين على إنشاء الدراسات المغربية بها في مختلف الأسلاك ، على حد ما فعلنا من قبل في فاس .

* * *

---

3) أنظر القسم الثاني الخاص بسبرة اليوسي البيبليوغرافية
4) نفسه

وإذا كانت صحبتي لليوسي قد فترت بعض الوقت ، فإنها لم تلبث أن بعثت وأضرمت جذوتها حين وصلني في أوائل هذا العام خطاب من السيد وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية يخبر بعزم الوزارة على اصدار عدد من مجلة « المناهل » خاص باليوسي ، ويدعو إلى المساهمة فيه بالكتابة في بعض جوانب شخصيته .

واستعرضت في ذهني شريط حياة الرجل وفكره ، فبدا لي الشريط طويلا . وهو على طوله غني وخصب وجذاب ، بما له من ملامح متعددة وخصوصيات متميزة تكشف لاشك عن عبقرية متفردة.

ودام الاستعراض أياماً كنت خلالها أفكر في الجانب الذي يتيح إبراز أهم سمات هذه العبقرية ، وظهرت لي بعض الموضوعات ، ثم استقر الرأي في النهاية على اثنين منها ، لم أتردد في إنجازهما :

أحدهما عن اليوسي من حيث هو رائد عصره ومجدده
والآخر عن بيوببليوغرافيا اليوسي أو سيرته البيبليوغرافية

وإذ لم يكن مناسباً أن أشارك في هذا العدد بموضوعين ، على أهميتهما — في نظري على الأقل — فقد فضلت أن أنشر ثانيهما ، لاعتقادي أن العمل البيبليوغرافي ذو قيمة أساسية ، من حيث أنه يكشف عن جوانب إنتاج اليوسي المتعددة ومدى اهتمام المؤرخين والدارسين به ؛ ولاعتقادي كذلك أن الدراسات العربية عموماً ما زالت تفتقر إلى مثل هذا العمل . كما نشرت في عدد تال من نفس المجلة جزءاً من البحث الأول ، وهو المتعلق باليوسي بين الامتياح من الذات والانصهار في المجتمع.

وإني إذ أقدم البحثين معاً أشكل منهما قسمي هذا الكتاب عن « عبقرية اليوسي » ، أعترف بأني أضفت مصادر أخرى إلى السيرة البيبليوغرافية ، بعضها كان موقوفاً عندي غير مكتمل لم أشأ إدراجه فيما

نشرت . وبعضها لم أكن قد اطلعت عليه ، دون أن أنسى ما نبهني إليه مشكورين إخوان لي من الباحثين المعتنين ، فضلاً عن الموضوعات التي زخر بها العدد الخاص من المناهل ، أو التي صدرت في أعقابه .

فعسى أن أكون وفقت في تناول اليوسي من خلال بعض جوانب عبقريته . وعسى بذلك أن أكون أعربت عن وفائي لرفقة لي معه تمتد إلى طور صباي ، ولكنها على طولها تتميز بالتجاوب والانسجام.

والله الموفق

الرباط 4 ذي الحجة 1399

موافق 26 أكتوبر 1979

عباس الجراري

القسم الاول

اليوسي رائد عصره ومجدده

مقدمة

ليس بدعاً — كما قد يظن — أن يتناول دارس معاصر أبا علي اليوسي من زاوية الريادة والتجديد ، فقد تعاقبت مصادر كثيرة على اعتباره من المجددين ، بدءاً من الإفراني الذي حلاه في (الصفوة) بـ « الشيخ الإمام علم الأعلام شيخ الإسلام ، آخر علماء المغرب على الإطلاق ، وممن وقع على علمه وصلاحه الإجماع والاتفاق »[1] . قبل أن يورد نقلاً عن بعض أشياخه أنه « هو المجدد على رأس هذه المائة لما اجتمع فيه من العلم والعمل بحيث صار إمام وقته وعابد زمانه ».[2]

وهو قول اعتمده محمد بن علي دنية الذي اعتبره في كتابه (واسطة العقد النضيد في شرح حديث التجديد)[3] مجدد المائة الحادية عشرة.[4] كما اعتمده كثيرون ، يكفي أن نذكر منهم محمداً الحجوي الذي قال عنه في (الفكر السامي) : « انتهت إليه الرياسة الكبرى في العلم في زمنه . وله شهرة ذائعة في المغرب والمشرق كشهرة تواليفه ... ويعتبر مجدداً على رأس المائة الحادية عشرة »[5]

---

1) ص 206 وانظر كذلك النزهة ص 284 ونقله الناصري في الاستقصا (ج 7 ص 108 — 109) ومحمد بن مخلوف في شجرة النور الزكية (ص 328) وابن ابراهيم في الأعلام (ج 3 .ص 154)
2) ص 208
3) هو الحديث النبوي الشريف الذي رواه أبو داود والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة مرفوعاً . ولفظه : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها »
4) ص 30
5) الربع الرابع ص 117 — 118

على أن اعتباره من المجددين تعدى نطاق المغرب إلى الخارج . على حد ما نقرأ في القصيدة التي استجازه بها فقيه طرابلس محمد المكني إذ قال : (6)

أعالم أهل الأرض في كل ما قطر وعلامة الدنيا جميعا بلا نكر
وقدوة أرباب الهداية والتقى مجدد دين الله حقا بذا العصر

بل إن اليوسي نفسه كان يدرك مكانته التجديدية ، كما يتضح من هذا النص الذي يشرح فيه منهاجه العلمي ويدين المقلدين ، معتبراً أنه « لم يكن أحد من علماء العقل وعقلاء العلماء يقيم للمقلد التابع كل ناعق وزناً أو يثبت له فضلاً أو يعده عالماً أو فقيهاً ، وإنما كان يعد في نحو دواوين القصاص أو المؤرخين أو أصحاب الخرافات وأهل النوادر والحكايات حتَّى فشا الفساد وكثر الجهل والعناد فاختلط الفائق بالمائق والسائق بالسابق والمجلى باللطيم والأغر بالبهيم ، وذلك عند ما عميت البصائر ورديت السرائر ، وقد بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً . وقد كان ما أخبر به الصادق المصدق ﷺ نعوذ بالله من انحراف السيرة وفساد السريرة والتقليد على غير بصيرة . فإنه لا فرق بين مقلد ينقاد وبهيمة تقاد . فليكن في علمك أيها الناظر أن ما أودعنا موضوعنا هذا أو غيره من الموضوعات إلا ما اعتقدنا صحته تصوراً وتصديقاً عن ضرورة أو بينة وضحت وبصيرة انشرحت فلا يهمسن في وهمك طمع أن تعارضنا بكلام أو رأي لغيرنا ممن تقدم أو تأخر يخالف ما رسمناه وينقض ما أحكمناه ، فننقاد إليك ونخضع بين يديك اللهم إلا أن تظهر بعد صحته وتتبين بينته فيكون الإنصاف إن شاء الله تعالى شيمتنا والرجوع إلى الحق طريقتنا . ولا تحسبن أيها الناظر أن الذين أسايرهم في مفاوز الفضل والفهم وأباريهم بقداح التحصيل في كل

6) رحلة اليوسي ك 1418 الورقة 78 و .

حكم وأسابقهم في مضمار الحكمة والعلم هم أهل زمانك ، كلا ، ولكن حجة الإسلام وفخر الدين وعضد الدين وسعد الدين وسائر المحصلين ، على أني لا أقلدهم تحكيماً ولا ألتزم شأوهم دخيلا ورسما ولكن أذكر ما ذكروه إن صحت عندي صحته وتقوت لديَّ قوته ، وإلا نبذته إلى وراء وخلفته بالعراء أو ذكرت ما فيه تصريحاً أو تلويحاً ، وليس يحرمني من ذلك منصبي أو يحطني عن درجي قول جهول أو حسود ليس بعشك فادرجي ولا قول واعظ منتصح بل تزكوا أنفسكم لعدم علمه ان تزكية النفس إنما سمي الثناء عليها واعتقاد براءتها من العيوب واثباتها بين يدي ملك الملوك وعلام الغيوب ». [7]

وحتَّى الذين لم ينصوا من المؤرخين والدارسين على تجديده ، أقروا له بذلك ضمنياً فيما حلوه به ، كابن زاكور الذي وصفه بـ : « حبر الأحبار وجهينة الأخبار وزين القرَى والأمصار العديم النظير في سائر الأقطار »[8] ، وكان أنشأ فيه عدة قصائد يكفي أن نذكر من إحداها هذه الأبيات : [9]

علامــة الــدنــيا بلا ثـنيا ومصقعها المسود
بحر الشريعة والحقيـ ـقة فاض فيها ليس يعهد
بــز الـذيـن تـقـدموا واستشهد الأخبار ترشد
فسـميـه الـبصري لـو رزق الحياة له تردد

---

7) القول الفصل الورقة 220 ظ 221 و
8) نشر الأزاهر ص 88
9) الديوان ك 357 ص 38 ورياض الورد ص 22 (وانظر قصائده الأخرى في الديوان ص 7 — 92 — 115 — 224 — 226 — 273) ومن الذين مدحوه كذلك محمد بن سعيد السوسي وغيره (أنظر المحاضرات ص 11)

وابن زاكور بهذا الوصف تعدى العياشي الذي قال عنه بيته المشهور : [10]

من فاته الحسن البصري يصحبه فليصحب الحسن اليوسي يكفيه

وقال عنه القادري انه « الإمام الكبير المحقق الشهير أعجوبة الدهر ونادر العصر سيف السنة القائم عن وجوه أهل عصره بجزيل المنة »[11] ، وانه « الإمام علامة الزمان ونادرة الأوان »[12].

وعند الكردودي أنه كان « من أكابر الفحول وإماماً في المعقول والمنقول ، عالماً ماهراً وبحراً في العلوم والمعارف زاخراً محققاً للدراية جامعاً أشتات الرواية ، له عارضة كبيرة في النقل والتحقيق »[13].

وتحدث عنه ابن الحاج فقال : « فاض بحر علومه وانتشر بدر فهومه حتّى كان يعد من نظراء حجة الإسلام والفخر والعضد والسعد ، على أنه والله قد نور بالعوارف والمعارف صدره وشاع بذلك في الأفاق صيته وذكره ». [14]

أما الكتاني فوصفه بأنه « عالم المغرب ونادرته وصاعقته في سعة الملكة وفصاحة القلم واللسان مع الزعامة والإقدام والصدع بما يتراءى له وكثرة التصنيف على طريق بعد العهد بمثله ـ وهو الكلام المرسل الخالي عن النقل إلا ما لابد منه »[15].

---

10) المحاضرات ص 10
11) النشر الكبير ك 2253 ج 2 ورقة 26 ظ
12) التقاط الدرر 676 د الورقة 216 ظ
13) الدر المنضد 1584 د الورقة 217 و
14) رياض الورد 111 د ص 21
15) فهرس الفهارس ج 2 ص 464

وإذا كانت مثل هذه الأحكام صدرت في جملتها مطلقة ، وإن اعتمدت على ما كان للرجل من مكانة فكرية تبلورت جلية واضحة في حياته وإنتاجه ، فإن التعمق في دراستها بالبحث الحديث لا يلبث أن يؤكد — وان من زاوية مختلفة في الرؤية والتناول والهدف — أن اليوسي كان حقاً رائد عصره ومجدده . وهذه قضية أعتقد أنها تأخذ أبعاداً ثلاثة ، سأحاول دراستها في الفصول المقبلة ، وهي :

أولاً : نمط متميز من الثقافة والشخصية

ثانيا بين الامتياح من الذات والانصهار في المجتمع

ثالثاً : مواقف جريئة وآراء صريحة



الفصل الأول

نمط متميز من الثقافة والشخصية

الحديث عن ثقافة اليوسي وشخصيته في لونهما المتفرد مرتبط أشد الارتباط بنوع البيئة التي شهد فيها النور ونشأ في ربوعها وترعرع ، ثم بشكل الحياة التي عاش مراحلها في تنقل مستمر ومعاناة دائمة.

ولم تكن تلك البيئة سوى آيت يوسي ، إحدى قبائل الأطلس المتوسط الصنهاجية التي كانت تستوطن بسفوح جبل العياشي وملوية العليا التي ولد بها أبو علي سنة أربعين وألف ، قبل أن تستقر في الشمال على عهد المولى اسماعيل الذي كانت له معها مواقف فرضت المواجهة وتركت آثاراً خفية وعميقة في النفوس ، وإن زالت مظاهرها الخارجية بعد أن أصبح لآيت يوسي وما إليها من القبائل نفوذ في سهل تادلة وسايس والمناطق المتاخمة لها ، بدءاً من فاس إلى مكناس وما وراءها من الأقاليم والطرق التي تربط العاصمة بتافيلالت .

مهما يكن ، فإن اليوسي نشأ في بيئة وعرة الطبيعة صعبة المراس ، تتسم بالحركة البشرية المتنوعة وبالاضطرابات والفتن والثورات .

ومع ذلك ظل مرتبطاً بها ، مشدُوداً إليها ، باعتبارها مهد طفولته ومرتع صباه ، يحن إليها في تعلق يتعدى إحساس الشاعر بالأرض ليبلغ حداً يكاد يكون ساذجاً أو مرضياً ، يصل إلى درجة من التقديس جعلته لا يرضي بها بديلا حتَّى حين أتيح له عيش رغد في فاس.

ولقد تركت هذه البيئة في نفس اليوسي ملامح طبعت اصالته ، وشكلت ثقافته ، وحددت شخصيته ، وصفَّت مزاجه وصقلته بحدة وذكاء أضيفا إلى استقامته وقناعته المعاشية ليجعلا منه في النهاية رجل مواقف ومبادئ يعتز بها ولا يتنازل عنها مهما بلغ الثمن ، وإن كان دفعه عالياً وغالياً .

وقد زادت في إبراز هذه الملامح وتقويتها عوامل أخرى حثته على العصامية ، في طليعتها فقر أسرته وأمية أبيه الذي كان رغم ذلك يتميز بالصلاح وحب الخير والرغبة في تعليم ابنه ؛ فأدخله الكتاب القرآني ، إلا أنه كان كثير الهرب منه لما كان عليه من حياء مفرط .

وتعرض في هذه الفترة المبكرة لحادث صدمه وكان له أكبر الأثر عليه ، إذ فقد والدته وحرم بفقدانها من عطف الأمومة وحنانها ، وغدا يبحث عن تعويض ، فلم يجده في غير الانكباب على التحصيل والتطلع لمزيد من العلم والمعرفة ، والخروج لذلك في رحلات ستتيح له أن ينوع ثقافته لتشمل التصوف وعلوم الدين واللغة والأدب ، بما في ذلك القصص والأمثال[1] ، وأن يوسع نطاق اتصالاته ويختلط بشيوخ العلم والتربية ، ويتعرف إلى خبايا مراكز الدراسة وزوايا التصوف ، كما ستتيح له أن يحتك بمختلف الفئات والطبقات ، وبالعوام خاصة.

وقد تحدث عن بداية هذه الفترة فقال : « ...فلما توفيت تنكرت على الأرض وأهلها

فما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعرف

وكان ذلك سبب الفتح ، فألقى الله تعالى في قلبي قبول التعليم ،

1) الفهرست ك 1234 ص 120 — 121

فدخلت أتعلم ، ولم ألبث إلا قليلاً حتّى جعلت أطلب والدي رحمه الله أن يغربني إلى الأمصار طلباً للقراءة فغربني ...لناحية القبلة بعد أن قرأت حزبين ، وكان لوحي في سورة والمرسلات عرفا ...»[2]

خرج في هذه الرحلة الأولى إلى بلاد القبلة مع أبي اسحق معلم الكتاب ، فختم القرآن الكريم وتعلم بعض مبادئ العلوم ، والعربية منها خاصة . وعاد إلى قبيلته وقد تقوت علاقة الصداقة بينه وبين معلمه الذي بدأ يطلعه على بعض كتب التصوف ، ولا سيما (المورد العذب) لابن الجوزي ، وهو كتاب خلف أكبر الأثر في نفسه التي عرفت بواسطته « الإيمان بالطريقة ومحبة أهلها ».[3]

وقد تقوى هذا الإيمان بالتعرف إلى سيرة أويس القرني وابراهيم بن أدهم . ولا شك أن تعطشه لهذا النوع من المعرفة هو الذي دفعه في هذه الفترة إلى الخروج لزيارة أبي يعزى وصلحاء ميسور وتغاية.

وتوالت رحلاته الدراسية بعد ذلك ، إذ اتجه إلى سوس حيث تلمذ على أبي بكر الحسن التطافي وأبي العباس الدراوي وأبي فارس عبد العزيز الفيلالي وعبد العزيز الرسموكي . ثم اتجه إلى مراكش فاخذ عن عيسى السكتاني ، وإلى دكالة فايليغ التي اتصل فيها بأبي حسون السملالي ، كما تولى التدريس في تارودانت قبل أن يلتحق بدرعة ليتلمذ على شيخ الزاوية التمكروتية محمد بن ناصر الذي حصل على يده الكثير من العلوم .

وإذا كان اليوسي قد عاش حياة التجوال في هذه المرحلة الأولى من حياته ، وهو لم يكمل بعد العشرين من عمره ، فإنه حين التحق بالزاوية الدلائية عرف الاستقرار والطمأنينة النفسية والمادية ؛ إذ صاهر الدلائيين

---

2) نفس المصدر ص 129
3) نفس المصدر 130

وأتم دراسته على شيوخهم ، أمثال محمد المرابط ومحمد بن عبد الرحمن ومحمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي . ولاشك أنه في رحاب هذه الزاوية التي أقام فيها زهاء تسعة عشر عاماً ، أكمل المؤهلات العلمية التي برَّز بها في مجال التدريس والتأليف .

وفي غمرة الظروف الصعبة التي عاشها المغرب في أوائل العهد العلوي ، بسبب مشاكل انتقال السلطة واستقرارها ، خرب المولى الرشيد زاوية الدلاء سنة تسع وسبعين وألف ، وأخذ اليوسي معه إلى فاس[4]

ولكن يبدو أن أي مجتمع بعد مجتمع الدلائيين لم يعد يملأ عينه ، فلم يلبث أن ضاق في هذه المدينة التي لم يطب له بها المقام لأسباب استثقل بها سكناها « منها الطبع ، فإني لم أولد فيها ، بل في الفجاج الواسعة بين الشيح والريح والجنوب والشمال ... ومنها فساد طبع العيال والأولاد والأصحاب . ونخشى ذلك نحن أيضا في أنفسنا من جهات : إحداها تعلم الشهوات والاتساع فيها ، وإن كنا بالبادية لا نعرفها ، ووجدنا آباءنا يعيشون بما وجدوا قانعين به ... ثانيها الوقاحة في ذلك وقلة الحياء ... ومنها مقاساة أهلها والتعرض لإذايتهم وفتنتهم ... »[5]

مهما تكن أسباب ضجر اليوسي من فاس — وسأعود إليها من زاوية الصراع الثقافي الذي اعتقد أنه كان السبب الأساسي فيما حدث — فإنه استغل الأزمة التي تعرضت لها المدينة سنة أربع وثمانين وألف أول عهد المولى اسماعيل ، ليستأذنه في الخروج منها ، متجها نحو الشمال في زيارة

4) ولم يعرضه للنفي أو السجن أو التشريد كما فعل مع بقية أعضاء الزاوية ، وكان منهم من فر إلى فاس وحاول اللجوء إليها فأخرجه منها السلطان (انظر مناقشتنا لهذا الموقف في الفصل الثالث الخاص بمواقف اليوسي وآرائه).

5) رسالة جواب الكتاب ص 20 إلى 25

لتطوان وجبل بني زروال حيث أقام بشعب بني فيه دويرات ، راضياً بالتعليم في البادية ، على حد ما فعل بعد ذلك حين أنشأ زاوية في خلفون على ضفاف أم الربيع ؛ إلى أن جاءه أمر السلطان بالرحيل خشية بقائه في الوسط البربري الذي كان متعلقاً من قبل بالدلائيين ، فغادرها سنة خمس وثمانين ، واتجه إلى مراكش وأقام فيها يدرس بجامع الشرفاء ؛ ثم أذن له في العودة إلى خلفون عام تسعين ؛ ومنها أمر بالانتقال إلى مكناس ، حيث أقام خمسة أشهر صدر له الأمر بعدها بالذهاب مرة ثانية إلى مراكش ، فقصدها سنة اثنين وتسعين ، وفيها بقي ثلاثة أعوام مشتت القلب موزع الذهن مضطرب النفس لا يملك غير التوسل إلى الله ، وفي ذلك قال[6] :

تشتت قلبي في البلاد فقسمة	بمراكش منها على رجل طائر
وأخرى بخلفون وأخرى مقيمة	بمكناسة الزيتون حول الدفاتر
وأخرى بفازاز وأخرى تجزأت	بملوية الأنهار بين العشائر
وأخرى بذاك الغرب بين أحبتي	بأهل البوادي منهم والحواضر
فيارب فاجمعها فإنك قادر	عليها وما غير الإلاه بقادر
ويارب فاجعلها بأوطانها فما	عبيدك للبين المشت بصابر
لك الفضل والإحسان بدءاً وآخراً	وإني لما أوليتني جد شاكر
فمنَّ بانعام وجد لي بحاجتي	ورفق بقلب للهموم مسامر
فمالي إلا بابك الرحب ملجأ	وما طلب الحاجات منك بضائر
ومالي إلا جودك الجم شافع	وحسبي بفيض منه أغزر وافر
وصفوتك المبعوث للناس رحمة	بشيراً شفيعاً مظهراً بالبشائر
صلاة وتسليم عليه مدى المدى	وعترته والصحب أهل البصائر

ويبدو أن اليوسي — وقد بدأت تتقدم به السن — لم يعد يطيق مثل

6) المحاضرات ص 125 — 126 (ط حجرية)

هذه التنقلات المفروضة ، وهو الذي كان يسعى إلى الرحلة والتجوال مومناً ومقتنعاً بأن « المولى تعالى من لطيف حكمته وسابغ نعمته كما لم يخل عبداً من عباده من فضل عاجل أو آجل ظاهر أو باطن كثير أو قليل ، كذلك لم يخل بقعة من بقاع الأرض من فضل ، ولم يعر بلدة من مزية يتعلل بها عمارها حتَّى لا يتركوها »[7]

ولعله أدرك الأسباب الحقيقية[8] التي تكمن خلف الأوامر المتلاحقة بالإقامة والمغادرة ، بل أدركها كذلك أصدقاؤه ومحبوه ، فتوسلوا من أجله إلى الله في مثل هذه الأبيات التي أنشأها أحمد بن عبد القادر التاستاوتي[9] :

يارب بالهادي وبالأصحاب	وبسائر الأوتاد والأقطاب
وبكل عبد في البرية صالح	وبجملة الأملاك والكتاب
أمِّن بفضلك مهجة الحسن بـ	ـن مسعود من الأنكاد والأوصاب
واشمله باللطف العميم وكن له	وانصره نصر مهيمن وهاب
وأدم بمنزله السرور فلا يرى	نكداً لجبار ولا مرتاب
أنت اللطيف القاهر الملك الذي	تعنو الوجوه له بلا حجاب

وقد بلغت أزمة اليوسي ذروتها حين أمر بالذهاب إلى الزاوية الدلائية المخربة في منفي استمر من سنة خمس وتسعين إلى ثمان وتسعين. ولم يكن غريبا أن يصدر هذا الأمر في هذه الفترة التي كان فيها المولى اسماعيل يغزو بلاد ملوية ، مضطراً قبيلة اليوسي وجاراتها للفرار إلى الجبال للتحصن والاعتصام. فقد تحدث التاريخ أنه في « سنة ست وتسعين وألف ...خرج

---

7) نفس المصدر ص 42 — 43
8) أنظر آخر الفصل الثاني
9) نزهة الناظر كـ 1669 ص 125

السلطان غازيا بلاد ملوية وجعل طريقه على مدينة صفرو ، ففرت قبائل البربر إلى رؤوس الجبال ، وهم آيت يوسي وشغروسن وأيوب وعلاهم وقادم وحيون ومديونة ، فأمر السلطان ببناء قلعة بآعليل وأخرى على وادي كيكو من أسفله وأخرى على وادي سكورة ، وأخرى على وادي تاشواكت ، ثم خرج السلطان بملوية ففرت القبائل المذكورة إلى جبل العياشي وتفرقوا في شعابه ، فأمر ببناء قلعة بدار الطمع وقلعة بتاببوست وقلعة بقصر بني مطير وقلعة بوطواط وقلعة بالقصابي وأقام على نهر ملوية يبث السرايا ويشن الغارات على البربر قريباً من سنة ، والعمل مستمر في بناء القلاع إلى أن أكملت أسوارها وأنزل ...بكل قلعة أربعمائة من خيل العبيد بعيالهم ، وجاءت وفود البربر تائبين طائعين فأمنهم على شرط دفع الخيل والسلاح فدفعوها »[10]

وإذا كان اليوسي عاش في هذا الظرف محنة تذكر بتخريب الزاوية ، وإن أتيح له رغم كابوسها المزعج أن يكتب (المحاضرات) ورسالة (جواب الكتاب) ، فإنه كان في هذه المرة على موعد مع مسلسل آخر من التنقلات الفجائية ، إذ أمر بالخروج من الزاوية عام ثمانية وتسعين ليرحل في غير هدى إلى مكناس لحضور درس سلطاني في التفسير ألقاه القاضي أبو عبد الله المجاصي في نفس العام ، ونزل شعاب حمود مدة سبعة أشهر ، ومنها إلى صفرو لفترة ستة أشهر وفاس مدة سبعة أشهر ، ليتجه بعد ذلك إلى العرائش ويزور زوايا الشمال مع تلميذه ابن زاكور . ثم عاد إلى فاس ، ولكنه غادرها سنة ألف ومائة في صحبة أسرته التي سيتركها في قرية تمزيزت ليرحل إلى الحجاز في وفد رسمي مبعوث من لدن السلطان .

وفي سنة اثنين ومائة وألف ، عاد من الحج والتحق بأسرته في

10) الاستقصا ج 7 ص 68

تمزيزت ، حيث توفي في نفس العام[11] ودفن هناك ، ثم نقل رفاته بعد عشرين عاماً إلى المدفن الذي يوجد عليه حالياً ضريحه.

* * *

إذا أردنا بعد هذا العرض لأبرز ملامح حياة اليوسي أن نحدد العوامل الكبرى التي طبعت ثقافته وشخصيته ووجهت تفكيره وسلوكه ، فإننا نستطيع تلخيصها في النقط الآتية :

أولا : قدرات ذاتية في طليعتها الذكاء والعزيمة والاستقامة وصفاء الذهن .

ثانيا : تأثير البيئة على مزاجه ، سواء بما يسم طبيعتها أو سلوك أفرادها الاجتماعي والسياسي ، مما جعله متحلياً بالصبر والقناعة ، وبالصراحة والوضوح وعدم التحرج في إبداء الرأي ، وبالصرامة والاعتزاز إلى حد العناد .

---

11) في طرة بالنشر الكبير (ك 2253 ج 2 الورقة 33 و) أنه « وثب اللصوص على صاحب الترجمة وقتلوه وأصبح مقتولا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وترك المؤلف التنبيه على هذا الجهل من وثب عليه قيل أنه ولي أمر القبيلة ». وعلى الرغم من أن المؤرخين والدارسين مروا على هذه الملاحظة ولم يلتفتوا إليها ، فإنها تلفت النظر بما لا يجعلها مستبعدة ، لاسيما وأن اليوسي عرف في أواخر حياته منعطفاً زادت فيه معاناته . هذا وقد أخطأ الذين جعلوا وفاته سنة 1111 كالجبرتي في تاريخه ، وجورجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية ، والبغدادي في هداية العارفين وايضاح المكنون ، ومحمد مخلوف في شجرة النور الزكية . وعن الجبرتي نقل الزركلي في الطبعة الأولى من أعلامه ثم صحح في الطبعات التالية ، وإن كان يرى أنه إذا كان اليوسي حج سنة 1102 وتوفي بعد عودته من الحج فإن وفاته تكون سنة 1103 ، خلافا لسائر الروايات ؛ ولكن الصحيح أنه حج سنة 1101 كما في الرحلة والمصادر التي تحدثت عنها وعن صاحبها ، وكما عند القادري في النشر والزياني في البستان وآخرين ؛ وبذلك تكون وفاته سنة 1102

ثالثا : تنقلاته في مختلف الأقاليم وما اكتسب من خبرة واسعة بالحياة والمجتمع.

رابعا : ثقافة متنوعة ومتفوقة تهيأ له جمع شتاتها من مختلف الزوايا والمراكز ، وأتيح له صقلها وتنميتها بالتدريس والتأليف.

خامسا : معاناة نفسية وفكرية مريرة منذ خروجه من الزاوية الدلائية بعد تخريبها ، وإن لم يمسسه في الظاهر سوء.

وإذا كان تأثير هذه العوامل قد تبلور فيما صدر عن اليوسي من مواقف وآراء سنتناولها في مبحث خاص ، فإنه تبلور كذلك في سلوك فكري نابع من الإحساس بالتفوق الممزوج بتواضع العالم المتطلع للمزيد من المعرفة.

وقد تجلى هذا السلوك متدرجاً مع مختلف مراحل حياته ، بدءاً من أول التحاقه بالزاوية البكرية في سن العشرين ، وكان قد اكتسب ثقافة أدبية ولغوية وقدرة على الجدل والنقاش في شجاعة أدبية نابعة من الثقة والاعتزاز ، حتَّى ولو تعلق الأمر باحراج شيخه . وقد تحدث عن ذلك فقال : « ... كنت قدمت في أعوام الستين وألف من رحلتي في طلب العلم ، وكنت إذ ذاك شاباً ، فدخلت الزاوية البكرية فوجدت شيخنا أبا عبد الله محمد بن محمد المرابط رحمه الله قد جمع خطباً وعظية وتقدم إلى أهل الوقت في بلده ليكتبوا عليها تقريظاً ، فكتب كل ما قدر له من نثر ونظم . فلما رأيت ذلك كتبت أنا أيضا . فوقع في مكتوبي لفظة القطائف اللطائف فاعترض علي ورام تبكيتي وقال إنا لا نعرف القطائف إلا هذه المفروشات فقلت له إن القطائف هنا جمع قطيفة بمعنى مقطوفة . فقال هو صحيح في اللغة ولكن الأدباء لهم الاختيار وعندهم ألفاظ يستعملونها مخصوصة ، فلا يرتكب كل ما يقع في اللغة . فقلت له حينئذ هذا أبو محمد الحريري يقول في مقاماته :

فلا تعذلوني بعد ما قد شرحته   على أن منعتم في اقتطاف القطائف

فتلون وجهه رحمه الله وخجل ولم يراجعني بكلمة ، فلولا معرفة المقامات واستحضار هذا البيت لأخجلني عوض ما كنت أخجلته »[12]

وإذا كان أبو عبد الله المرابط الدلائي قد تقبل مثل هذه المواجهة بسعة صدر ورحابة فكر ودون أية عقدة أو مركب ، وتقبلها معه أقرانه وتلاميذه من الدلائيين ، في اغتباط بقدوم شاب في مقتبل العمر ، مثقف متيقظ جريئ ، زادوا فاحتضنوه وصاهروه وساعدوه على استكمال تكوين ثقافته وشخصيته ، حتى غدا عَلَماً بارزاً في زاوية الدلاء ؛ فإن المجتمع الفاسي ، أي مجتمع مثقفيه — شيوخا وطلاباً — واجه هذا العَلَم البارز ، حين اضطرته الظروف للانتقال إلى فاس ، بمشاعر أخرى مختلفة . وكان هو يتلقى هذه المشاعر بسخرية واستهزاء تارة ، وبمرارة وألم تارة أخرى ، على حد ما تكشف رسالته (جواب الكتاب) ، فقد كتب فيها يقول : « ...كنا نضحك أيام كنا بفاس مما يبلغنا عنهم ، وذلك انهم بحمد الله — والتحدث بالنعم شكر — رأوا ما بهر عقولهم علماً وفهماً وفصاحةً ، فكانوا يقولون : ترى الرجل بربرياً ثم إذا تكلم تكلم بلسان اهل الحاضرة . وكان يبلغنا عن بعض الحمقى منهم أنهم يقولون : ما فاته شيئ إلا أنه لم يقرأ بفاس . وهذا كلام جاهل لا يعرف حكمة الله ومشيئته الباهرة ... وما أشبه نزعة هؤلاء بنزعة اليهود حيث أنكروا نبوءة نبينا ﷺ إذ لم يكن من الشام او من بني اسرائيل . واعلم أني شبهت النزعة بالنزعة لاشتراكهما في الجهل وتحجير رحمة الله الواسعة ، فلا يذهب وهمك إلى أني أريد محاكاة نفسي بجناب النبوة »[13]

---

12) المحاضرات ص 142

13) ص 47

وكتب في نفس الرسالة متحدثاً عن فاس ، متأثراً من « مقاساة أهلها والتعرض لإذايتهم وفتنتهم ... ولقد طلبني السلطان مولاي الرشيد بالرحيل إلى فاس ، وقال : تصيب الظل والماء البارد وتأكل الخالص وينتفع بك المسلمون . ولم أكن قط رأيت فاساً قبل ذلك ولا كان لي علم بحالها ولا حال أهلها ، فقلت : هذا والله خير ، وقبلت قول السلطان وارتحلت بنية صالحة ... فلم أدخل المدينة حتَّى لم تبق لي نية من كثرة القيل والقال ؛ ثم بدأنا القراءة فاصطفقت علينا الطلبة أهل البلاد والغرباء ، وكان المجلس حافلاً ... فتحرك الحسد والوسواس وكثر القيل والقال وجعل كل من يحبني يحذرني من الناس ومن أكل طعامهم ، فما يمكنني أن أشرب ماء ولا آكل طعاماً من يد أحد ، ولا أجلس على سليخة الكرسي حتى يقلبها أصحابي ، ولا تفريط ، فصرنا في فتنة وبلاء . ثم لم ألبث إلا قليلا حتى مرضت ، فبقيت حتى نقهت واسترحت ، فذهبت للقراءة فلم يكن إلا أن طلعت على الكرسي حتَّى أصابني ذلك ، فنزلت وجئت الدار فرقدت أيضاً حتَّى تعبت ، فرجعت فكان الأمر كالأول . فعند ذلك قام إليَّ أصحابي وقالوا : هذا أمر واضح بين ، هذَا عَمَل عُمِل لك على مجلس القراءة لئلا تشتغل به ، فإنك شتت عن الناس تلامذتهم وأخليت مجالسهم . وجعلوا يكتبون لي معادات لم تزل اليوم عليَّ . فمن ثم أمكنني بإذن الله أن أحضر الميعاد ... ثم خرجت العطايا للفقهاء ولطلبة العلم ، وكانت عطايا الطلبة تنفذ إلى القضاة يتولون قسمتها عليهم ، فعند ذلك جعل الطلبة يتسللون من مجلسي ويذهبون إلى حيث كانت العطايا ، حتَّى لم يبق في مجلسي بحمد الله إلا من همته العلم لا الدنيا ، وأكثرهم من الغرباء ، وقليل من أهل البلد . وأكثر أهل البلد إنما همتهم في جائزة يقتنصونها أو محراب أو كرسي أو شهادة يتولونها . ثم لما رآني الناس أطلع إلى السلطان لبعض الأحيان جعلوا يتعلقون بي طلباً للشفاعة ، ويثقلون علي وأنا ما أحب أن أفتح ذلك

الباب على نفسي لأنه يتركني بلا شغل ، ولأني لا أقدر على ذلك ولا أصلح له ... ثم إن تلك العطايا كانت تتأخر إلى شهر والشهرين ، وكثير من الأحيان لا تصل إلينا العطية حتى نكون قد أخذنا من السوق أشياء بالدين مع أني كنت من أكثرهم عطاء ...ولما مات السلطان انقطع ذلك فصرنا في فتنة مع العيال ... »[14]

والحقيقة أن قضية اليوسي في فاس مع ما اتخذته من جوانب وأبعاد ، لا تخرج في واقع الأمر عن مجال المنافسة العلمية التي لم تحفظ لها براءتها ، وتطورت بحدة وانفعال ، تغذيها عوامل هامشية كثيرة حوَّلتها إلى صراع.

وقد بدأت خيوط هذا الصراع تنسج منذ وصول اليوسي إلى فاس وتصدره للتدريس ؛ وفي ذلك يقول : « فأقبلت طلبة العلم للأخذ عني ، وتخلف جماعة من المشاهير ، وهم أو جلهم محتاجون إلى المجلس ، وكأنهم غلبهم ماهو المألوف من الطبع الآدمي في أمثالهم »[15]

وهذا ما جعله يقول بيتيه المشهورين[16].

ما أنصفت فاس ولا أعلامها — علمي ولا عرفوا جلالة منصب
لو أنصفوا لصبَوْا إليَّ كما صبا — راعى سنين إلى الغمام الصيب

ثم « إن بعض أعيان علماء فاس[17] أرسل له بطاقة فيها جواب ...وهو هذه الأبيات :

---

14) ص 25 — 26
15) المحاضرات ص 72
16) المحاضرات ص 73. هذا ومما قاله كذلك في فاس :
على رسلكم ياأهل فاس فإنني — فتى لست بالفهم الغبي ولا الغمر
أنا الصارم الماضي ويارب نافث — يخلف في الجث الأديم ولا يفري
(النشر الكبير ج 2 الورقة 31 و)
17) في هامس النشر الكبير (ج 2 الورقة 27 ظ) أن المجيب هو عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي

بل أنصفت فاس ومن إنصافها   أبداً سقوط المدعى والمعجب
تنفي الدجاجل آجلاً بل عاجلاً   منها فهي طريدة من يثرب

فلم يجبه ، لكن كتب له لفظة (سلاما) وحدها . فلما ردت البطاقة لمرسلها ورأى ذلك أعجبته واعترف ببراعة الجواب وبين لأصحابه أنه يشير لقوله تعالى : وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً »[18]

ويبدو أن اليوسي ــ قبل أن يرد ــ أطلع عبد القادر الفاسي على الجواب الذي وصله ، فقال له : « البادي أظلم وأنت أزلت جلباب الوقار وأبخست مقدارك لمعارضتك الأحداث وإصغائك لمقال من لم يساوك في علم ولا سن »[19]

وهو قول يكشف عن موقف من القضية اتخذه الشيخ الفاسي ، فيه تحيز واضح لمخاصمي اليوسي ، وعلى رأسهم ابنه عبد الرحمن ، وفيه شيْ من التشفي والشماتة كذلك ، وكان أولى به أن يتخذ موقفاً أكثر إنصافاً ، تقديراً لعلم الرجل ومكانته ، وإكراماً له في غربته وما تقتضي من عناية وضيافة[20]

ومع ذلك ، فمن بين علماء فاس ، ارتفع صوت أبي محمد عبد السلام بن الطيب القادري جد صاحب النشر ، ينصف اليوسي ويدافع

18) النشر الكبير ج 2 الورقة 27 ظ
19) هامش النشر الكبير ج 2 الورقة 27 ظ
20) على الرغم مما حدث بين اليوسي وآل الفاسي فإنه حافظ على علاقته معهم في ود وتقدير . وهو موقف نبيل تشهد به الرسالة التي بعثها لأبي زيد عبد الرحمن وأبي عبد الله محمد يعزيهما في أبيهما عبد القادر الفاسي والتي وصفه فيها بأنه « شيخ الجماعة وسراج الملة وقدوة الوقت وبركة الوجود فإنه مصاب عم فجعه وعظم وقعه ...وكيف وهو عماد أمن تخضم وبنيان قوم تهدم وسراج أطفيْ عند اطباق الرجاء وحسام غمد عند قيام الهيجاء ... » (النشر الكبير ج 2 الورقة 6 ظ)

عنه في أبيات علق بها على جواب أبي زيد ، وكان حاضراً في الجلسة التي قرئت فيها البطاقة المذكورة ، وهي قوله :[21]

ما أنصفت فاس ولا من شأنها	إنصاف ذي شرف جليل المنصب
ياأهل فاس ما الذي أغناكم	عن نيل غيث من غمام صيب
فلقد سقطت وما صدقت وانه	من شأن نفس المدعى والمعجب
لا تتعبن فدون ما حاولته	خرط القتاد أو امتطاء الكوكب
اطرق كرا هذا الإمام معظم	في سائر الدنيا بغير تعجب
فلأنت تطفي نور ربك جاهداً	بالنفخ بغضاً كالجهول المذنب
أو كالذي رام الصعود الى العلا	بأتانه العرجا ولم يستوجب
لا تعجبن إذا الأكارم خلفت	غمراً فكم من جاحد لم ينجب

وكان القادري قد مدحه بأبيات قالها لاشك لأول قدومه إلى فاس ، وهي :[22]

حييت بك الأرضون منذ حللتها	وحيت بنور هداك كل نفوس
أنت الذي أنهلت من بحر الهدى	فسقيت منه مزيده بكؤوس
أنت الذي لما رقيت سما العلا	نارت لنا بسناك كل شموس
قد جيت بحراً من علوم زاخراً	متضلعاً منه بكل نفيس
قسماً بمروة والصفا وبزمزم	قسم التقي والبر غير غموس
ما جاز ذو علم ولا ذو همة	كلا ولا داني مقام اليوسي

واضح إذن أن القضية لا تخرج عن كونها منافسة بين اليوسي وعلماء فاس أو فئة منهم على الأقل . وعلى الرغم من أنها اتخذت في الظاهر ابعاداً

21) النشر الكبير ج 2 الورقة 27 ظ . والأبيات الأربعة الأخيرة واردة في الهامش
22) المصدر السابق . وانظرها كذلك في الدرر المرصعة ص 51 والسر الظاهر للحوات ص 5 مع قصيدة جوابية لليوسي

شخصية ، فإنها في العمق كشفت عن صراع بين ثقافتين أو نوعين من الثقافة ، احدهما منغلق على نفسه جامد في فقهية تعليمية وصوفية متفقرة ، مع ميل إلى المسايرة والمجاملة والنفعية ؛ وهو النوع الذي تمثله هذه الفئة . والثاني متفتح ، متسع الآفاق متعدد المشارب ، قادر على الأخذ والعطاء ، في شعبية وحرية وجرأة ؛ وهو النوع الذي كان اليوسي يتفرد به .

وللكشف عن حقيقة الأمر ، بعيداً عن كل المؤثرات الهامشية التي تنطلق من الانحياز الفكري أو التعصب العنصري ، يجد الدارس نفسه ملزما بالنظر في خارطة الثقافة المغربية خلال هذه الفترة ، وتحليل أهم ظروفها وملابساتها في محاولة لتحديد أبرز ملامح الواقع الذي كانت تعيش في مراكز عدة — سنكتفي بالإشارة إلى أهمها — وما أفرز هذا الواقع من أنماط لم يكن ذلك الصراع إلا مظهراً لها ؛ وهو مظهر لاشك في إيجابيته ، من حيث أنه كشف عن سمة حركية في ثقافتنا ، وإن طرحت هذه السمة في إطار سلبي حرَّفها عن بُعدها الحق.

وإذا كانت مدينة فاس في طليعة مراكز الثقافة لحقب طويلة ، فإنها في هذه وقبلها بقليل كانت تجتاز أزمة متعددة الجوانب ، أفقدتها ما كانت تتمتع به من مكانة . ففي آخر العهد السعدي ، ومع ظهور الثوار وأصحاب الفتن ، كانت المدينة « على فرق وشيع ، لا يامن التاجر على نفسه إلا ان استجار باحد من هؤلاء ، ووقع من الفتن ما أظلم به جو فاس ونتن أفقها العاطر الأنفاس وخلا أكثر المدينة واستولى عليها الخراب ودام الشر بين أهل العدوتين حتَّى كادت فاس تضمحل ويعفو رسمها »[23] .

وزاد الحال سوءاً في أول العهد العلوي ، إلى حد أنه « لما كان آخر

23) الاستقصا ج 6 ص 58

سنة ثلاث وسبعين وألف أغار المولى محمد بن الشريف على زرع الحياينة بأحواز فاس فانتسفه وأفسده ، ووقعت عقب ذلك مجاعة عظيمة أكل الناس فيها الجيف والدواب والآدمي ، وخلت الدور وعطلت المساجد . وخرج أهل فاس يستغيثون بأهل الدلاء »[24]

ويبدو أن الأحوال العامة — والاقتصادية منها خاصة — كانت سيئة في مجموع البلاد ، ففي « سنة ستين وألف كان بالمغرب ....غلاء مفرط وبلغ صاع البر بمدينة سلا مثقالاً وكاد ينعدم بالكلية ، وهو غلاء لم يعهد مثله وانتشر الفساد في البلاد وحل بالمغرب وباء كبير حتّى كان الناس يموتون في كل طريق رجالاً ونساء ...وفي سنة سبعين وألف كان الغلاء المفرط بالمغرب لا سيما بمراكش . وهذه السنة هي المعروفة عند العامة بسنة كروم الحاج ، لا زالوا يضربون المثل بغلائها إلى اليوم »[25]

ثم حدث خلال عامي 1083 — 1084 ، في بداية تولية المولى اسماعيل أن انتفض أهل فاس وقتلوا قائد الجيش زيدان بن عبيد العامري ودعوا لأحمد بن محرز بن أخي الرشيد واسماعيل ، وكان قد بويع في مراكش وسوس إثر وفاة عمه الرشيد ، ولكن المولى اسماعيل لم يلبث أن حاصرهم ودخل معهم في حرب أول الأمر ؛ ثم عاد فحاصرهم « وطاولهم ولم يحدث معهم حرباً إلى أن أذعنوا إلى الطاعة وراجعوا بصائرهم ففتحوا البلد وخرجوا إلى السلطان تائبين فعفا عنهم ... فكانت مدة انتفاضتهم أربعة عشر شهراً وثمانية عشر يوماً ذاقوا فيها وبال أمرهم.»[26]

---

24) نفس المصدر ج 7 ص 28

25) نفس المصدر ج 6 ص 112 . وقد ورد فيه لدى الحديث عن الغلاء المذكور أنه « غلاء مفرط بلغ الناس به غاية الضرر حتّى أكلوا الجيف » (ص 109). أما كروم الحاج فهو عبد الكريم الشباني الثائر الذي بويع بمراكش سنة 1069هـ

26) المصدر السابق ج 7 ص 47 — 48

وكان نتيجة لهذه الأحوال السيئة الممتدة الجذور أن « فترت الحركة العلمية في المغرب بعد وفاة المنصور الذهبي فتوراً كبيراً لا سيما عندما أراد السلطان المامون ابن المنصور الملقب بالشيخ من العلماء أن يوافقوا على احتلال العدو لمدينة العرائش ، فلم يرتضوا ذلك ، وخرج الكثير منهم فارين بدينهم إلى البوادي ، فكان لذلك من التأثير السيئ على الأوساط العلمية في المدن المغربية ـ وخصوصاً فاس ما لا يخفى »[27]

وانحطت الأوضاع الثقافية في هذه المدينة وتقلص ظلها الذي بات متمثلا في حلقات تلقينية أولية ، وفي بعض الزوايا التي تلقن الأوراد والأذكار للمريدين والفقراء ، وفي طليعتها زاوية القلقليين أو الفاسيين المنسوبة لدفينها عبد القادر الفاسي المتوفى عام واحد وتسعين وألف ، وكان أسسها أول الأمر بالمخفية أبو المحاسن المولود بالقصر الكبير سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة والمتوفى بفاس عام ثلاثة عشر وألف ، وكان استقر بهذه المدينة ابتداء من ثمانية وثمانين وتسعمائة.

ولعل مراكش[28] كانت قد احتلت المكانة العلمية الأولى منذ أواخر القرن العاشر ، ومع استقرارها عاصمة للدولة السعدية ، ولا سيما في عهد المنصور ، إذ أقبل عليها علماء مغاربة من كل الأقاليم ، وآخرون مهاجرون من الأندلس وتلمسان .

ومن أبرز الأسماء التي لمعت في ساحة العلم والتدريس بها : أحمد المنجور وعبد الواحد الحميدي وأحمد الازموري وأحمد بن القاضي وعلي بن عمران السلاسي ومحمد بن علي السالمي وعبد الواحد السجلماسي ومحمد بن يوسف الترغي وأحمد بابا التمبكتي وأحمد العبادي التلمساني وعلي بن مسعود الشاطبي .

27) النبوغ لكنون ج 1 ص 274 (ط دار الكتاب اللبناني)
28) عقد الدكتور محمد حجي فصلاً عن مراكش باعتبارها المركز العلمي الأول بالمغرب في هذه الفترة (انظر كتابه عن الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ج 2 ص 375 — 404)

كذلك اشتهرت في هذا العهد عدة مدارس علمية منبثة في السهول والصحراء وسوس وجبال الأطلس والريف ، وما إليها من المناطق النائية عن الحواضر التقليدية . ومن أهمها الزاوية التمكروتية التي أسسها الشيخ عمر بن أحمد الأنصاري التمكروتي المتوفى سنة عشر وألف ، والتي عرفت ازدهاراً في عهدها الناصري على يد الشيخ محمد بن ناصر الذي جعل منها مركزاً يقصده طلاب العلم من مختلف الجهات.

أما الزاوية الدلائية فكان لها « صيت عظيم ، وكان بها من معاطاة العلوم والدؤوب على درسها وإقرائها وقراءتها ليلاً ونهاراً ما تخرج به جماعة من صدور العلماء وأعيانهم كالشيخ اليوسي وأضرابه حتّى كانت إليها الرحلة في المغرب لا يعدوها الطالب ولا يأمل سواها الراغب »(29)

بل إنه في الظروف الصعبة التي اجتاز المغرب في هذه الفترة ، كان « من الألطاف الخفية ان ظهرت الزاوية الدلائية ... فكأنما بعثها الله لحفظ تراث العلوم والآداب الذي كاد أن يضيع ، فقامت عليه خير قيام ، وما هي إلا مدة قليلة حتى صارت مركزا مهماً لنشر الثقافة العربية بين قبائل المغرب ومأرزا حصيناً للعلوم الإسلامية بالبلاد ، وقد تخرج فيها عدد لا يحصى من العلماء الفطاحل والأدباء الأماثل »؛ (30)لا سيما وقد غدت « من أحسن البقاع التي يلتجئ إليها العلماء حيث يجدون الطمأنينة وراحة البال وينعمون بكرم ضيافة أهلها فيتفرغون للعلم وتدارسه »(31)

ومن ألمع العلماء الفاسيين الذين أقاموا فيها : أبو حامد محمد العربي الفاسي المتوفى سنة اثنين وخمسين وألف ، ومحمد بن أبي القاسم بن سودة

---

29) الاستقصا ج 6 ص 97
30) النبوغ ج 1 ص 274
31) الزاوية الدلائية ص 71

المتوفى عام ستة وسبعين وألف ، وأبو العباس أحمد القادري المتوفى سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف ، وهو تلميذ لليوسي.

ثم « إن الثقافة الأدبية واللغوية في عصر اليوسي لم تكن قاصرة على حاضرة فاس وأمثالها ، بل إنها كانت في الناحية التي درس فيها اليوسي أقوى منها في فاس ، بل إننا نقول إن الثقافة اللغوية المتينة التي كانت موجودة في زاوية الدلاء حيث درس اليوسي هي التي أحيت ذماء الأدب في المغرب بعد العدم »[32]

وقد ظلت الزاوية حتى بعد تخريبها تشع على غيرها من المراكز بما فيها فاس التي يذكر من العلماء الدلائيين الذين انتقلوا إليها — بالإضافة إلى اليوسي — أبو عبد الله محمد المرابط الدلائي الذي عينه المولى اسماعيل عام ثمانية وثمانين وألف خطيباً[33] بالمدرسة المتوكلية الشهيرة بالعنانية ، واستمر يخطب ويؤم ويدرس في فاس إلى أن توفي بها سنة تسع وثمانين وألف ، بعد أن تخرج على يده جماعة من علماء هذه المدينة ، يكفي أن نذكر منهم محمد ابن عبد الرحمن الفاسي الذي لم ينس أن يسجل هذه التلمذة في فهرسته (المنح البادية) ، حيث ذكر إجازته له وما أخذ عنه من علوم .[34]

واضح إذن أن الفكر المغربي في هذا العهد كان يمر بمرحلة اضطراب وتشتت ، وكان يعرف في نفس الوقت لا مركزية وسعت من آفاقه وأبعاده ، وأرفدت شرايينه بدماء جديدة قوت كيانه الذي كان على وشك الانهيار.

---

32) خل وبقل لكنون ص 275

33) البدور الضاوية 261 د ، (144 و 242)

34) مخطوطة خزانة الرباط ك 1149 ص 6

من هنا نستطيع أن نتصور نوع الثقافتين اللتين كانتا تتصارعان من خلال اليوسي ومخاصميه : ثقافة تحتضر في فاس محورها الفقه الذي كان يعتبر أساس المواد العلمية الدراسية لدى علمائها ، وثقافة أخرى تتفتح وتغتني في مختلف ربوع البلاد ، وقد عرف اليوسي كيف يكتسبها . وكان مهيأ لذلك .

ثم إن اليوسي لم يجد في مدينة فاس — والقرويين خاصة — ما يوازي أو يؤكد السمعة التي كانت لها من قبل ، ولا حتَّى أصداء السمعة التي كانت تصله وهو في البادية أو الجبل أو في أية مدينة أخرى .

فقد وجد بعض الفقهاء والطلبة ، وخاصة من الأسرتين القادرية والفاسية ، وهذه بالذات ، وكان على رأسها الشيخ عبد القادر الذي كانت تتمثل فيه شخصية فقيه خلف إجازة ومجموعا فقهياً ، وشخصية طرقي صوفي تجمع بعض الفقراء في زاويته . وربما كان أبناؤه — وخاصة منهم عبد الرحمن الذي كان كثير التدوين والتأليف — الوحيد الذي كان مؤهلا في فاس من بين جميع أقران اليوسي لمنافسته ؛ ولكنه كان دون اليوسي ثقافة وتفكيراً وتجربة وممارسة ، وكان دونه منطقاً وإبداعاً وفي أسلوب الكتابة والتعبير ، وحتى في صناعة التدريس وفن الإقراء ، وكان دونه قدرة على الدراسة والتحليل والتحليق وتكوين الرأي وإبدائه ، فضلا عن اتخاذ أي موقف.

وإذا كان التعلم في هذه الفترة يقوم أساساً — سواء في فاس أو غيرها — على الحفظ والاستظهار والاستذكار وعلى النقل والتقليد ، فإن اليوسي أضاف إلى ذلك قدرة عقلية وحدسية على الربط والتركيب والاستنتاج والاستخلاص ، وهي قدرة كانت تحثه دائماً وبوعي على التفكر والتأمل والاستنباط وإعمال الرأي وتجاوز مجال النقل والتقليد. وهذه

لاشك من أولى مميزات شخصيته وفكره . وهي ميزة نفتقدها عند كثير غيره ومعاصريه خاصة .

ثم إنه كان يدرك طبيعة الثقافة المغربية يومئذ ، في محاولة للتغلب عليها ، خاصة حين يضعها في ميزان المقارنة مع الثقافة في المشرق ، انطلاقاً مما كان لعلمائه من اعتناء بالأخبار والوقائع والمساند ، وهو « ضعيف جداً في المغاربة ، فغلب عليهم في باب العلم الاعتناء بالدراية دون الرواية ، وفيما سوى ذلك لا همة لهم ... وقد سألت شيخنا الأستاذ أبا عبد الله بن ناصر رحمه الله ورضي عنه يوماً عن السند فيما كنت آخذه عنه . فقال لي انا لم تكن لنا رواية في هذا وما كنا نعتني بذلك ».[35]

إذا أضفنا إلى ذلك وضوح فكر اليوسي وتسلسله وانتظامه كما في حاشيته مثلا على (مختصر السنوسي)، وترتيب المادة وتقسيمها وتفريعها في منطقية واضحة وتناول تلقائي مع استيعاب وتصرف ، سواء عند النقل أو التحليل أو الاستنتاج كما في (القانون) و (زهر الأكم)، تبين لنا حجم المميزات التي نفتقدها في كتاب (الأقنوم) لعبد الرحمن الفاسي وإن كان أكثر اتساعاً في المادة ، فضلاً عما في (القانون) و (المحاضرات) من فكر نقدي تجديدي ناتج عن التأمل والتمرس بقضايا العلم والتعلم في بيئات المغرب المختلفة . وفضلاً كذلك عما في أسلوب (المحاضرات) وحتى مؤلفات اليوسي الأخرى من أسلوب جديد في الكتابة غير معهود عند معاصريه . يتسم بالجزالة والمتانة والسلاسة والوضوح والبعد عن التكلف.

وفي اعتقادي أن نفس إحساس التفوق الممزوج بتواضع الباحث المتطلع إلى ما هو أعلى وما هو جديد ، كان يقود اليوسي في رحلته للمشرق آخر حياته.

---

35) المحاضرات 59

ومن ثم لا مجال للاستغراب الذي طرحه الكتاني حين قال : « وإني أتعجب منه لما حج لم لم يستجز أحداً بمصر والحجاز والمغرب الأوسط مع جلوسه بمصر نحو أربعة أشهر ووجود كثير من أقطاب العلم والرواية إذذاك بتلك الديار كالعجيمي والبصري والنخلي في الحجاز ، وأحمد بن عبد الغني المعروف بابن البنا الدمياطي والشمس البقري والعجيمي والخرشي ومحمد بن منصور الاطفيحي وعبد الحي الشرنبلالي وشاهين الأرمناوي في مصر ؛ وهؤلاء كل أو جل أقرانه الذين رحلوا قبله وبعده أخذوا عنهم خصوصاً العجيمي والخرشي ، وهو إهمال كبير منه ، ولعله لم يجد من يملأ عينه هناك ...ولعل اليوسي وولده ما عرفا إلا من أتى إليهما فلم يقصدا أحداً ، لذلك عميت عنهم مقامات رجال ذلك الدور »[36]

ويكاد يكون ما حدث له في فاس هو عينه ما حدث له في المشرق ، إذ لم يجد ما كان يتوقع أن يجد فيه ، مما كان الناس يتحدثون عنه حين يضخمون ذكرياتهم عن علمائه ، إذ « ليس بمصر من المساجد المشهورة للإقراء سوى جامع الأزهر ، والغير لا تكاد تجد فيه مجلساً للعلم أصلاً . وما كنا نسمعه قبل مشاهدتنا وحضورنا بهذه البلدة من إفشاء العلم والحث عليه وكثرة العلماء والمتعلمين وتعاطي الفنون ومداولتها لم نر شيئا من ذلك ، إما لد ثوره وانقراضه بموت أهله كما في الحديث الشريف ، وإما لهراء المارين بهذه البلاد وهدرهم وكذبهم وافتخارهم بذلك بكونهم لقوا أهل العلم والصلاح ، وقد قيل حدث عن البحر ولا حرج وحدث عن مصر ولا حرج ، وكذلك أيضاً أهل الصلاح والولاية المشهورين المعروفين المتصوفين ما رأينا منهم أحداً أيضا ، وقد بلغنا قبل هذه الساعة سيدي عبد الخالق بن سيدي الغازي حين حج وأخبرني بشيء من هذا . فلم نزل

---

36) فهرس الفهارس ج 2 ص 466

نطلبهم ونسأل عنهم ونجد في ذلك ، فما لقينا أحداً منهم إما لاختفائهم عن الناس وخمولهم كما هو دأبهم وسجيتهم ، فيكون الناقل فوقه كذاباً ، وإما لنقصاننا وعدم أهليتنا لرؤيتهم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله »(37)

ويبدو أن اليوسي بهر بعلمه بعض من لقي في رحلته من العلماء ، كالخرشي الذي قال عنه ولد اليوسي : « وجدنا الشيخ الفقيه العلامة شارح مختصر خليل سيدي محمد الخرشي حيا واجتمعنا به وتبركنا به ، وهو رجل طويل أسمر اللون أمرد كبير السن ، وجاء لسيدي الوالد واجتمع به وقرأ عليه الخرشي ورقات من أوائل سيدي البخاري وأجازه سيدي الوالد ».(38)

وكما أجاز الخرشي ، فقد أجاز قبله الفقيه محمد بن أحمد بن محمد الملقب المَكْني وجماعة معه في طرابلس ، وكان قد استجازه بهذه الأبيات :

أعالم أهل الأرض في كل ما قطر
وعلامة الدنيا جميعاً بلا نكر
وقدوة أرباب الهداية والتقى
مجدد دين الله حقا بذا العصر
أيا شيخنا اليوسي وياشيخ وقته
وعمدة أقطاب الوجود بذا الدهر

---

37) الرحلة (الورقة 99 و ظ). هذا وقد كتب الاسحاقي في رحلته ما يلي : « حضرنا مجالس بالجامع المذكور (يعني الأزهر) فما رأينا ما يشفي الغليل ولا ما يبرئ العليل . والأمر في ذلك قريب داخل في قول حبيب : لا أنت أنت ولا الديار ديار . وبالجملة فالعلم بالبلاد المشرقية كغيرها قد وقف على ثنية الوداع وهمَّ مزنه بالإقلاع . وأخبرني بعض أصحابنا أنه سمع شيخنا أبا علي الحسن اليوسي بعدما رجع من حجته يقول ما بقي بالبلاد المشرقية من تشد إليه الرحال في طلب العلم . وما راءٍ كمن سمع » (الرحلة مخطوط المكتبة الملكية رقم 1428 ص 159)

38) الرحلة (الورقة 83 و)

مـقـيـد هـذا المكني محمـد
محبكـم سراً وفي ظاهر الأمر
يؤمل منكم أن تجيزوه بالذي
رويتم ورويتم من العلم والذكر
وإن لم يكن أهلا لما رام منكم
فـإنــكـم أهـل المودة والخير
ومهما تـفضـلتم بـذاك فـعـمـموا
لإخواننا في الله من أهل ذا المصر
كمثل ابن عفان المعظم قدركم
وذكركم عبد السلام أخي البر
كذلك ابراهيم وهو ابن مصطفى
كذلك سحبان أخي سالم الصدر
كذاك علي وابن منصور الرضي
وسائر أعواني على الخير والبر
كذاك علي عين أهل سفاقس
وفاضل من فيها الملقب بالنور
فـبـالله خـذ يـاسيـدي بخواطـر
على ما ترى نظماً وإن شئت بالنثر
فلا زلت مأوى للفضائل ترتجى
ولا زال نهر المجد في أرضكم يجري

« فلما تأملها سيدي الوالد ، دفعها إلى وأمرني أن أجيزه عن إذنه حفظه الله ورعاه ، فكتبت له هذه الأبيات »[39]

---

39) نفس المصدر (الورقة 78 و ظ)

أيا سيداً قد حاز كل فضيلة
وعُمم بالنعماء والفضل والبر
ويا محرز المجد الذي فاح نشره
وملجأ هذا القطر في فادح الأمر
محمد المكني ابن عالم عصره
محط رحال الفاضلين مدى الدهر
وقد بلغت تلك المعاني كأنها
حلى زانها الصواغ من خالص التبر
وما رمته منها فأهلاً ومرحباً
وإن لم أكن أهلاً فلتمس العذر
أقول وحمد الله أول منطقي
وذكري ذكر الله في السر والجهر
أجزت لكم في كل ما قد رويته
وما قلت قبل من نظام ومن نثر
كذا الرفقاء الماجدون تعمهم
إجازتنا من قاطنين بذا المصر
كذا الماجد النحرير عين سفاقس
أبو الحسن النوري ذو المجد والفخر
وحدثتكم في ذلكم عن شيوخنا
ذوي العلم والعرفان والفضل والقدر
ومن شاء يستحصي ففهرست لنا
تضيئ بهم كالأنجم الطلع الزهر
على شرطها المعتاد في كل ذروة
من الفهم والتحصيل والصدق في الذكر
فنسأل رب العرش أن يبلغ المنى
ويصلح شأن الطالبين ومن يُقرى

بجاه النبي الهاشمي محمد
عليه سلام عاطر طيب النشر
وأصحابه والآل طراً وصحبه
عليهم سلامي سرمداً دائم الذكر[40]

والحقيقة أننا إذا تركنا جانبا هذا المظهر الذي يدل على المكانة العلمية التي كانت لليوسي خارج حدود الوطن ، وعدنا للمظهرين الأولين اللذين يمثلان سلوكه ، سواء حين التحق بالزاوية الدلائية أو في فاس ، لألفيناهما يكشفان عن واقع الثقافة في المغرب وموقع اليوسي فيه . بل إننا حين ننظر إلى أحدهما من خلال الآخر ، أي إلى اليوسي من خلال ثقافة العصر ، وإلى هذه من خلاله ، نجد أنه عاش في عصر كان المغرب يعاني فيه من التمزق الثقافي ، وهو التمزق الذي تجلى في المرقعة التي حاولنا إبراز أهم قطعها ، بتتبع أهم البيئات التي كانت تحتضن الثقافة أو نوعاً ما من الثقافة ، مدرسية وشعبية .

وقد أتيح لليوسي ، ليس فقط أن يتتبع ملامح ثقافة عصره الموزعة ، بل ان يلتقطها ويهضمها ويصهرها ، في محاولة توحيدية لم يكن أحد من معاصريه قادراً عليها ، إن لم أقل قادراً على تصورها والتفكير فيها ، فضلا عن تجميع ما تقتضيه من عناصر متكاملة.

وهذه ميزة تكفي لجعل ثقافة اليوسي وشخصيته تتسمان بنمط خاص ، هو في النهاية أحد الملامح البارزة في حياته ، يضاف إلى السمات الأخرى التي سنتحدث عنها في الفصلين الآتيين ، لتتبلور صورة ريادة اليوسي وتجديده في أبعادها المتعددة.

---

40) ذيلت هذا الأبيات بقوله : « فكتبت تحتها وكتب عن اذن أبيه فلان ابن فلان ، فوقع تحتها ما نصه : صحيح ذلك ، وكتب الحسن بن مسعود اليوسي كان الله له » (المصدر السابق)

الفصل الثاني

بين الامتياح من الذات والانصهار في المجتمع

أتيحت لليوسي — على حد ما رأينا — عوامل وظروف كثيرة صقلت قدراته الإبداعية ونظَّمت فعلها الخلاق ، بعضها كان ذا طبيعة ذاتية إلهامية ، وبعضها الآخر كان ذا طابع خارجي مكتسب.

وعلى الرغم من أن هذا الإطار المكتسب تسني —كله أو بعضه— لكثير غير اليوسي من أقرانه ومعاصريه ، إلا أنه كان عنده أقوى نفاذاً وتأثيراً وذا دلالة متميزة ، بسبب ما كان له من طاقة عقلية وشعورية جعلته يربط بين ذاته والعالم الخارجي بعلاقة توظيفية إنتاجية لم تلبث أن أفضت إلى سلوك معين وإبداع خاص .

وقد عرف اليوسي كيف يقوى هذه العلاقة بما كان له من فكر متفتح حي ومشاعر حساسة عميقة ، أي بما تبلور عنده من خلال معاناة مريرة في الحياة العامة والخاصة ، وممارسة علمية وأدبية متعددة الجوانب والملامح ، لاسيما وأن المعاناة والممارسة اللتين مر منهما كانتا تتسمان بالضغط العنيف المثير عنده للتوتر والتفجير الإيجابيين ، أي من حيث أنهما جعلاه يخوض غمار مصيره بثقافة وشخصية متميزتين ، وجعلاه بالتالي يبدع إنتاجاً متكاملاً ومنسجماً في شكله ومضمونه مع تلك الشخصية والثقافة .

وإذا تركنا جانباً سلوك اليوسي المعبر بوضوح عن ذاتية خاصة ، سواء ما كان من هذا السلوك مرتبطا بعلاقاته مع معاصريه من العلماء على حد ما رأينا في الفصل السابق ، أو ما كان متعلقا بمواقفه وآرائه كما سنرى

بعد . ونظرنا بعمق وتمعن إلى التكوين الفكري والنفسي لليوسي ، فإننا نجد أن التصوف يشكل العنصر الذي يتمحور حوله هذا التكوين . وهي حقيقة ترجع إلى عوامل بيئية وراثية — داخلية وخارجية — واستعدادات مزاجية فطرية ومكتسبة ، نستطيع أن نذكر منها :

أولا : الطبيعة القاسية لموطنه الأصلي في ملوية العليا وما خلفت في طبعه من صلابة وصرامة.

ثانيا : البداوة ونوعية التركيب الاجتماعي في قبيلة آيت يوسي والقرية التي نشأ فيها وما ترتب عليهما في نفسه وتكوينه من بساطة ووضوح ورهافة إحساس ورقة ذوق وصفاء نفس.

ثالثا : حب الطبيعة والفرار إليها منذ الصغر حين كان يهرب من الكُتاب القرآني ويلتجئ لاشك إلى البراري والحقول ، في ميل للتحرر والانطلاق وإعمال النظر والتأمل.

رابعا : تألمه في سن مبكرة لموت والدته وما كان لهذا الموت من أثر على كيانه غيَّر مجرى حياته.

خامساً : قراءته في المرحلة التعليمية الأولى لكتب التصوف ، وتعرفه إلى أحوال العباد والزهاد ، وهو في فترة المراهقة على استعداد للتأثر السريع .

سادسا : الخروج في رحلات متعددة للتعلم والزيارة.

سابعا : إقامته في زوايا ، وخاصة الناصرية والدلائية ، واتصاله فيها بعلماء متصوفة كمحمد بن ناصر الذي أخذ عنه عهد الشاذلية ، وعلماء الزاوية الدلائية التي كانت صلتها قوية بالشاذلية وبشيوخ فيها كبار كالجزولي وزروق.

ثامنا : تعميق مأساة الدلاء لكل ما في نفسه من مشاعر وأحاسيس .

وعلى الرغم مما قد يكون لهذه العوامل من أبعاد ذاتية ، فإنها كانت تتحرك في عملية متشعبة داخل مجال أوسع بكثير مما نتصور ، يصل في اتساعه إلى احتواء كل التنظيم الاجتماعي بجميع ما يؤلفه من ظواهر وأنماط .

وإذا كانت هذه العملية تتصدع عند كثيرين إلى حد يفصل فيه بين الجانب الفردي والجانب الجمعي العام حتَّى ليستحيل الجمع بينهما في غالب الأحيان ، كما يحدث عند بعض المتصوفة والشعراء — وقد يكونون شعراء متصوفة في نفس الآن — أولئك الذين ينفصلون عن مجتمعاتهم ويشعرون نحوها بإحساس فوقي يجعلهم يبتعدون عن الواقع ، منطوين على أنفسهم في أبراج عاجية وصوامع نائية ، زاعمين أنهم ملتزمون بفنهم أو عبادتهم لذاتها ليس غير ، فإننا نجد تلك العملية عند اليوسي — وهو الجامع بين الشعر والتصوف — تلتئم بناء وتشكلا ورؤية وهدفا لتجعل منه في النهاية الشاعر الصوفي الذي يمتاح من ذاته في تعمق لهذه الذات بكل ما يعمل فيها من مثيرات ، دون أن يفقد خيوط الاتصال بالمجتمع والانصهار فيه لامداده بالعطاء والتزود منه كذلك ، طالما أنه يفكر فيه وينسجم معه ويستقي منه ويعبر عنه ، بل طالما أنه يحاول التغلب على أزماته التمزيقية ويسعى للحفاظ على تكامله .

ومن ثم ، فإنه مهما بدت ملامح شعر اليوسي وتصوفه متسمة بالفردية ، فإنها في حقيقتها ذات أبعاد اجتماعية ضمنية ، من حيث أنه عبَّر في هذا التصوف وذاك الشعر عن حياته ، ومن خلالها عن حياة المجتمع أو خلاصتها على الأقل ، وكانت النزعات الصوفية طاغية عليه.

ومع أن اليوسي تناول في شعره بعض الأغراض التقليدية المعروفة ، من

مديح ونسيب وفخر ورثاء وحتّى الهجاء[1]، فإن موضوع التصوف ظل طاغياً عنده بكل ما يخدمه من مديح نبوي ومدح لأشياخه ؛ فضلاً عن جوانب الأسى والتأمل التي انبثقت من حنينه الدائم إلى موطنه وحزنه على الزاوية الدلائية وبكائه عليها في تأثر عميق.

وتنطلق الشاعرية الصوفية لليوسي من التعلق بالله وبجاهه في حب تكشف عنه تعابير مستقاة من أدعية المتصوفة وأذكارهم التي يرددون، على حد قوله :[2]

يا حبيب القلوب أنت ملاذي	يا رفيع النفوس أنت عمادي
أنت حصني وأنت كنزي وذخري	أنت سؤلي وبغيتي ومرادي
أنت ركني إذا تعدد بالشعـ	ـب نسيب وأنت ذخري وزادي
أنت سعي وأنت جندي إذا ما	جار أهل السيوف والأجناد
أنت أنسي وأنت منية نفسي	دون كل المنى وأنت استنادي
يا طبيب القلوب داو فؤادي	واسقه ما سقيت أهل الوداد
أنت حسبي وحجتي وظهيري	ونصيري من كل جان وعاد

وهو في غمرة هذا الحب، يسعى للوصال، ملتذاً ومنتشياً بالخمر الصوفية التي يقول فيها :[3]

قد سقينا من المدام كؤوسا	مترعات صرفاً وصرفاً تشاب
من مدام بها الألباء تحيا	ورؤوس الحفـاة منها تشاب

1) يبدو الهجاء عند اليوسي محصوراً في أبيات معدودة قالها يدعو على بعض خصومه ، في شبه رد على ما قد يكون صدر منهم ضده ، مثل ما وقع له مع بني عبد الواحد (الديوان ص 54) وأحد السجلماسيين (ص 77) وأحد أولى الأمر (ص 137)، ومثل ما وقع له كذلك في فاس ، وقد سبق أن تناولناه بالتحليل في الفصل السابق.
2) الديوان ص 49
3) الديوان ص 7

مرة في النفوس كالصبر المـ ـر وفي القلب حلوة تستطاب
تـزدهـي نشـوة عليها وطوراً تشتكي من خمارها الأوصاب

وفيها يقول كذلك :[4]

وكانت مداماة الوصال مدامة على القوم صرفاً لا مزيجاً ولا نزرا
تجاذب إخوان الصفاء كؤوسها فلا تختشي منها خماراً ولا سكراً

بل إنه يسعى إليها بلهف وهيام في مثل هذه الأبيات :[5]

واسقـنا خمرة تعاطى قديما صرفها الذائقون صفو الشمال
من كؤوس كانت تدار على الفتيان في كل ما زمان وجيل
من يذقها يوما يهم بهواها ويصر حلـف لاعج وهمول
كم فتي سائح بها في البراري راغب عـن حـليـله وخليل
ويح من ضاع عمره وهو صاح لم ينل جرعة بها من مُنيل
يالساقي الصهباء للذابل الضـ ـاح تمني ارتواءه في مَقيل
ياغياث اللهفان أنت غياثي يـادليـل الحيران أنت دليلي
أنت وردي إذا ظمئت وخصبي عندما أنتحى بسرج هزيل

وفي حب مفعم بالروح الصوفية ينسج اليوسي مديحه للرسول عليه السلام فيقول :[6]

محمد المهدي إلى الناس رحمة وسر الـوجود الطاهر المتخير
نبي أتى والكون أسود مظلم فأصبح منه وهو أبلج نير
هو الغرة البيضاء والكون أدهم هو الدرة العصماء والكون جوهر

---

4) الديوان ص 73
5) الديوان ص 106
6) الديوان ص 68 — 69

هو الروح فيه والحياة وكلما سواه من الأكوان جسم وصور
وإن كان حرز الأنبياء محصناً فأحمد فيه بابه المتنظر
وما هم سوى عين يُرى بشعاعها وانسانها هو النبي المطهر
له المعجزات الباهرات ووجهه يرى صدقه من يستبين وينظر
بيان تأدى للأصم سماعه وأبصره للناس من ليس يبصر

...

أبعد ثناء الرب يرجى لواصف ثناء وإن جاء البليغ المكثر
فأحمد خير الخلق غير مدافع وأحمد حصن المتقين المسور
وأحمد إنسان بالاسم وإنه ليعلو على الأملاك فضلاً ويكبر
وبالحجر الياقوت يسمى توسعا وأين من الياقوت في الفضل أحجر
وأحمد سر الله في الخلق صانه فلم يره أعمَى ولا متبصر

...

وما هو إلا الشمس تشرق ضحوة وأنوارها تغشَى العيون وتبهر
محاسنه فوق الذي يعرف الورَى فمن رامه بالمدح فهو مقصر

وقد ينطلق المديح عنده من التوسل إلى الله بنبيه الكريم ، على حد قوله : (7)

توسل إلى الرحمن في كل نائب ملم بخير المرسلين الأطايب
وخير عباد الله شرقاً ومغربا وبراً وبحراً من ذؤابة غالب
من اختصه الله العظيم بسورة من المجد تسمو فوق هام الكواكب
ومن ملأ الله الوجود بنوره وطهره من كل رجس وعائب
وأدحض أوهام الأضاليل كلها بفرقانه والمرهفات القواضب
وأجلجه في كل خطب وموطن وأيده بالمعجزات العجائب

7) الديوان ص 7

محمد المختار من ختمت به النبوة والأخبار من كل غائب
عليه صلاة الله ما درَّ شارق وما جنحت شهب الدُّجا للمغارب

ويعتبر مدح أشياخه من الموضوعات التي تجلت فيها شاعرية اليوسي وصوفية حبه وصدقه في التعبير، كقوله يخاطب أبا عبد الله محمد بن أبي بكر الدلائي المعروف بالمرابط، في أسلوب يتوسل بالصورة والتشبيه والرمز :.[8]

يـأيها الحب الـذي سأقول قـولاً إلـيـه مجازه مـقـبـول
إني لأصبحتُ منك كما أتي شـعـر قـديم لـفـظـه مـعسول
وأشد ما لاقيتُ من ألم الهوى قرب الحبيب وما إليه سبيل
كالعير في البيداء يقتلها الظما والماء فـوق ظـهـورهـا محمول

وتكاد تكون داليته في أبي عبد الله الناصر الدرعي أبرز قصائده في هذا الباب، وهي تضم أكثر من خمسمائة بيت. ومطلعها :

عرج بمنعرج الهضاب الورد بين اللصاب وبين ذات الأرمد

فقد استهلها على طريقة القدماء في السفر إلى ديار الحبيبة والمرور بهذه الديار وتذكر الأيام وتعزية النفس عما يصير إليه الإنسان. ولكنه حين يصل إلى المدح يحول معانيه التقليدية إلى أفكار صوفية تلقي الضوء على العمل الإصلاحي التصحيحي الذي كان ينهض به ممدوحه، فيقول مثل هذه الأبيات :[9]

غيث الورى الشيخ ابن ناصر الذي نصر الإلاه به شريعة أحمد
وأعاد وجه الدين أبيض مسفراً بهجا مُقراً عين كل موحد

---

8) الديوان ص 103
9) الديوان ص 29

وأقام سمك بنائه حتّى سما فوق السماك على الأواسي الوُطّد
وأزاح عنه كل حندس شبهة وضلالــة وخلاعــة وتشــدد
كم سنة أحييت بعد إماتة وضلالة أخمدت بعد توقد
وافيتَ والبدع الحوادث قد دجت ظلماتها والجهل وارى الأزند
والدين مطموس المعالم والهدى بيض الأنوق ولقطة لم تنشد
والسنــة الـغـراء قـفـر موحش ما فيه من هاد ولا من مهتد

أما حزنه على الزاوية الدلائية فله في نفسه أثر عميق لا يجد ما يعبر عنه غير البكاء ، وان كان لا جدوى منه :[10]

أكلف جفن العين أن ينثر الدرا فيأبي ويعتاض العقيق بها حمرا
واسأله أن يكتم الوجد ساعة فيفشي وان اللوم آونة أغرا
وقد كنت أستصحيه حتّى توقدت جذى الوجد فاستسقيته يطفئ الجمرا
على أن دمع العين فضل حشاشة تذاب فماذا ينفع الدمع أن يجرى

ولكنه في ميل لاستخراج الحكمة والوصية ، لا يرى ملاذه إلا بالله ، على حد قوله في خاتمة القصيدة :

وفي الله للمرء اللبيب كفاية عن الناس والمحروم من حرم الأجرا
فكن رائياً بالنفس عنهم ومقضيا بعين الحشا عما تكنفت الغبرا
ولا تجعلن في غير مولاك همة فمنه ترى لو تعلم النفع والضرا

ويبدو ميل الشاعر إلى التأمل والتفلسف واضحاً في داليته الناصرية ، إذ يقول متحدثاً عن صراع الوجود الإنساني بين علوية الروح وسفلية الجسم[11] :

---

10) الديوان ص 73
11) الديوان ص 22

ما المرء إلا ابن الثرى ولو ارتقي أفق السماء بسلم لم يخلد
شخص تكنفه الثريا والثرى فالجسم كون من خسيس الحرمد
والروح كان نشوءه ونزوعه من ذلك الملأ العلي الأمجد
فيحن ذاك لأرضه بتسفل ويحن ذا لسمائه بتصعد
والمرء بينهما مخافة فرقة ونوى قذوف في المقيم المقعد

وهو يوجه طاقته التأملية في نفس القصيدة للنظر في حال المجتمع . ويدين ما فيه من نفاق وتزييف ووهن في النفس وضعف الإيمان :[12]

ويح المشرف للخسيس مجله ومذيل ذي الشرف الأثيل الأقعد
وحفيظ من هو للصداقة خائن وخؤون ذي الود الصفي الأتلد
ولبائع حوراً حساناً خرداً عرباً بعظم في التراب مدود
ولراضع ثدي الهوى وسناه في ليل الضلالة خابط متردد
متخبط في تيهه متصلف ومذبذب في نوكه متلدد
فطن بدنياه بصير ناقد متغافل في دينه متبلد
حرد إذا ما سيم خسفاً جاهه وإذا يسام إلاهه لم يحرد
متكاسل عن كل حق عاجز متشمر في كل ما بطل أدِ

ولعلنا لا نحتاج إلى كبير عناء لندرك ما يتسم به هذا الشعر من جزالة ووضوح وبعد عن الإغراب ، إلا ما كان منه مُغرقا في بعض المعاني الصوفية . وحتَّى حين يرغب في استعمال الصور — وهي عنده قديمة تكاد تكون جاهلية — فإنه يستحضرها بعفوية وتلقائية ودون أي تكلف ، على حد ما تكشف هذه الأبيات التي توسل في تدقيق صورها بكل ما تسعفه به الطبيعة وبالحركة والتجسيم والتشخيص :[13]

---

12) الديوان ص 23
13) الديوان ص 20 — 21

ما دوحة فينانة أو روضة بخميلة أو في يفاع أنجد
سحبت عليه ذيولها مزن الحيا وسخت عليه بكف واكفها الندى
يسقي من الوسمي مُترع كأسه ويصان من نسج الولي ببرجد
من كل سابغة الذيول كأنها عكر تسام على الربي بالمرعد
نثر الجنوب جمانها فتقلدت لبب الرياض بحليها المتبدد
فتفقدت أنهارها وتفتقت أزهارها في روضة المستأسد
وتساجلت أطيارها وتمايلت أشجارها كالمثمل المتميّد
وجرى لطيف نسيمها برياضها جري الزلال بغصنها المتأود
ما شئت من ثمر يلذ ومنظر أ نق وصوت في الغصون مجسد
وحباب جريال يخلخل ساق أملـ ـود بها فحم الدوائب ممأد
أو أمن ذي فرق خليع لبّه أو غفوة الإصباح للمتهجد
بألذ من تلك الليالي لو محا ما خطه الدَّبران سعد الا سعد

وكما جاء معظم شعره سهلاً ، فكذلك أتت قوافيه في الغالب ، إلا ما فرضه موقف معين ، كهذه الأبيات التي التزم في قافيتها ما لا يلزم ، والتي قال عنها أنها جاءت ارتجالاً أو شبه ارتجال ، ولعله أنشأها في سياق مساجلة مع الغير : (14)

يابن الكرام ما لليل الهجر من نحوكم ليس له من فجر
وما للمز في أو لهجر يصدر ثم من لئام بُجْر
من كل خب غير زاكي النجر ولا كريم ليس قط يجري
على التقي في سعيه والأجر أقسم بالكهف وآي الحجر
وبالمقام والصفا والحجر وبالذكاء والنهي والحجر
إن لم تلج ضباعهم في الوجر ولم تلد من خيفة بجحر

14) الديوان ص 90 — 91

وإذا كان اليوسي قد أودع تصوفه اشعاره ، فإن ولعه به جعله يكتب عنه فصولاً في كتابيه (المحاضرات) و (القانون) ، كما جعله يحرر رسائل في موضوعه ، على حد ما تكشف عنه سيرته البيليوغرافية . بل إن صوفية روحه وشفافية هذا الروح جعلتاه في مجال الكتابة والتحليل يتشرب المعاني ويتسرب إلى أعماقها ، محللاً ومستنبطاً ورابطاً بين المتناقضات في بعض الأحيان . ويتجلى ذلك في وقوفه مثلاً عند بيت امرئ القيس :

الله انجح ما طلبت به والبر خير حقيقة الرجل

فقد كتب يقول : « خطر لي ذات ليلة بيت للملك الضليل امرئ القيس بن حجر فوجدته قد احتوى على مقتضى الشريعة الظاهرة والباطنة وتضمن كل ما تحصل من دواوين أيمة الدين وأقاويل الصوفية ، فقضيت العجب من ذلك ، وعلمت أن الله تعالى من باهر قدرته وعجيب حكمته يبرز الحكمة على لسان من شاء وإن لم يكن من أهلها ... فالشطر الأول قد احتوى على الحقيقة كلها وهي باطن الشريعة ، فإن معناه ان ما طلبته بالله فأنت منجح فيه ، وهو كما قال في الحكم العطائية : ما تعسر مطلب أنت طالبه بربك وما تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك . ومعلوم أنك لست تروم ذلك إلا وأنت تعرف الله تعالى وأنه حق لا شريك له وأنه هو الفاعل المدبر النافع الضار ، ثم تفني عن نفسك وعن حولها وقوتها وتدبيرها واختيارها وتبقي بربك ، وهذا هو سر العبودية ، وهو الكنز الذي يحوم حوله المريدون ويعنو إليه السالكون ، وهو المشار إليه في قوله ﷺ : لا حول ولاقوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة . وهذا هو كلية الأمر ... والشطر الثاني قد تضمن الشريعة كلها ، وهو أن البر خير ما تحمله العبد وادَّخره ، أي والفجور شر ما تحمله ، ويدخل في البر بر العبد مع ربه بطاعته له قولاً وفعلاً ، وكذا مع من أوجب الله طاعته من نبي وأمير وملك ووالد

ونحوهم ، وبره مع الناس بالإحسان فعلاً وقولاً وخلقاً ، وهو مجموع ما يطلب شرعاً »[15] .

ومثل ذلك فعل مع بيت لبيد :[16]

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

ومع بيتي أبي نواس :

تغطيت من دهري بظل جناحه فعيني ترَى دهري وليس يراني
فلو تسأل الأيام عني ما درت وأين مكاني ما عرفن مكاني

فقد علق عليهما بقوله : « هذا مشرب عندهم في حق كهف الإيواء من الأصفياء الأخفياء »[17]

أما معنى بيتي نفس الشاعر المشهورين اللذين يقول فيهما :

إذا العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار فقد ضاق الزمان عن الصغار

ففي رأيه أنه « صار عندهم موعظة في الإكثار من العمل الصالح والتشمير للتزود للمعاد ، ولا سيما عند إيناس قرب الأجل وخشية فوات الأمل ».[18] .

ومثل هذه التحليلات التي يسلك فيها اليوسي تأويل أهل الطريق العارفين للكلام بما لم يرد على خاطر قائله ، كثيرة متشابهة ، يكفينا أن نضيف إليها تعقيبه على هذين البيتين :

لو كان لي مسعد بالراح يسعدني
لما انتظرت لشرب الراح أفطارا

15) المحاضرات ص 53 — 54
16) نفس المصدر
17) المحاضرات ص 154
18) نفس المصدر

الراح شيئ شريف أنت شاربه
فاشرب ولو حملتك الراح أوزارا

فعنده أن « الراح ...هنا هي الخمرة الربانية القلبية ، وهي لطف من الله تعالى ونور يرد على القلب ، فاستعاروا له اسم الخمر للشبه الواقع في اللذة والانفعال »[19]

* * *

وبنفس هذه الشفافية الصوفية ، وبمعرفة دقيقة بالمجتمع وأحواله ، ناتجة عن الملاحظة والإدراك ، وعن التعايش والالتحام ، يتعامل اليوسي مع الناس والأرض والأشياء ، فيلتقط الظواهر والمظاهر ، ويحس بالفوارق والخصوصيات ، ويسجل السمات المميزة لمختلف البيئات التي جال فيها ، ويرسم لوحات حية للحياة البشرية ، تبرز الملامح الاجتماعية والثقافية ، في انصهار مع المجتمع ينم عن نزعة جماهيرية تنساب عنده بعفوية وروحانية.

ويكاد كتابه (المحاضرات) يعطي وحده — فضلاً عن بقية كتبه ورسائله — صورة نابضة وناطقة عن المغرب الواسع الذي عرفه ، من خلال لقطات عن عاداته وتقاليده ولغته وأمثاله وأشعاره وما إليها من ألوان ثقافية شعبية لم يكن ليدونها غيره، خاصة في هذا العصر الذي تجمد فيه الفكر المغربي وتقلصت أبعاده وتحجرت عقول الفقهاء عند علوم معينة يجترونها ، بعيداً عن أي تفكير في تجاوزها إلى فنون مدرسية أخرى ، ودون أية قدرة على ذلك ؛ فكيف بما يدخل في نطاق العوام ، ولم يكن ينظر إليه — يومئذ وحتى عهد قريب — إلا بمنظار الاحتقار والازدراء ، باعتباره لا يمثل غير الجهل والانحطاط والإسفاف.

---

19) المحاضرات ص 156

ويعتبر الشعر الملحون في طليعة الآثار الشعبية التي لفت اليوسي الأنظار اليها وإلى معانيها ، من خلال نماذج أوردها في سياق موضوعات وقضايا متعددة .

منها أنه أثناء رحلته الدراسية لقي في احدى قرى دكالة رجلا مسنا عابداً زاهداً ، معظماً للعلم وأهله ، فأعجب به وأكثر مجالسته والاستماع إليه . ومما سجل عنه هذان البيتان[20] ، يصبره بهما على الغربة :

أنـا الـغـريب المتوَّح صَابَر اعْلى كلّ هانا
أيلا نخرج ما نقول أحْ في كلب من قطعت أنا

وأنشده كذلك في مدح العلم :[21]

الـعـلم شـمـعـا منيرا يـتـنـاولوه لـكـيـاس
ما فـوق منُّـو ادخيرا ايزوّل عن القلب لدْناس

وأورد اليوسي قول أحمد بن عبد الله بن مبارك ، نقلاً عن اعرابي لقيه :

ايْلا بْرك لي الزمان واركبت اعليه
واللي راد بي المولى نلكاه اعراضا
ابرك لي مركوب ماني داري به
ما نحسابْ ايَّامي اعْليَّ مغتاضا
نصبر لحكام المولى حتى تتقاضي

وأضاف شارحاً : « قوله مغتاضاً من الغيظ ، وأبدل من الظاء هنا ضاداً ...

20) المحاضرات ص 47.
21) المحاضرات ص 48

وقوله : نصبر لحكام المولى حتى تتقاض ، هذا هو أدب العبد ، وهو الصبر لأحكام الله تعالى والسكوت تحت مجاري الأقدار ».[22]

وأنشده أبو القاسم بن بوعتل الشيباني الزراري هذا المقطع لبعض الأعراب :

ياراسي عيبك بان   واللي عيبو فوجهو ما يصيب ايْدَسُو
كالوا علَّت ابنادم شيطان   ونانكول علت ابْنادم نفسو
اقبل لا يزيغ ابليس أش يكون ابليسو

وقد علق عليه بقوله : « فانظر إلى هذا الأعرابي كيف غاص على معنى كبير ، وهو أن نفس الإنسان سبب هلاكه بإذن الله تعالى إلا من عصمه الله ، وكيف وقع على حجة برهانية وقياس منظوم في النفس ، وتقريره أن تقول لو كان كل زائغ إنما يزيغ بشيطان لكان ابليس حين زاغ إنما زاغ بإبليس آخر ، والتالي باطل للزوم التسلسل ، فالمقدم مثله »[23]

وبلغه « أن جماعة قدموا على سيدي محمد الشرقي التادلاوي ...فخرج إليهم وتحرك سماع ، فلم يشعروا به إلا وهو في وسطه يتواجد وليس عليه إلا القميص ، فقال بعض الجالسين لآخر سراً : هذا رجل خفيف ، فإذا هو على الفور تكلم على خواطرهم فقال :

الله الله يالله
الله الله يالطيف
الحب ايهز الرجال
والله ماني اخفيف »[24]

---

22) نفسه
23) المحاضرات ص 49
24) المحاضرات ص 103

وكما عني اليوسي بالشعر الملحون ، فكذلك عني بالأمثال الشعبية ، إذ أثار الانتباه إليها مرة باللفظ وأخرى بالمعني ، كلما اقتضى الأمر ذلك ، وخاصة في كتابه (زهر الأكم في الأمثال والحكم) حيث قال شارحاً منهجه في التأليف : « فإذا فرغت من الأمثال ذكرت شيئا مما يجرى مجرى الأمثال الوقتية من غير تكلف ولا كبير تأمل ولا مراجعة ... ».[25]

ففي تناوله للمثل : « إذا اشتريت فاذكر السوق » قال : « وفي معناه قول العامة اليوم لاشترى تبيع ».[26]

وحين أورد المثل : « ياكلك الأسد ولا يأكلك الكلب » ذكر أن « هذا المثل باق اليوم في ألسنة العوام ، يقولون من أكله السبع خير ممن أكله الذيب ».[27]

وعلق على المثل « يُبلغ الخَضْم بالقضم » بقوله : « وللعامة في نحو هذا أمثال كثيرة منها قولهم : المهل يبلغ ، وقولهم : الراحة تنزل شيئا فشيئا ، وأصله في المريض ؛ وقولهم : لا يجئ دفعة واحدة إلا الموت ، وقولهم : قطرة إلى قطرة فيسيل النهر ، وقولهم : امش بالنعلين حتى تجد السباط ، أي الخفين »[28]

وعلى ذكره للمثل : « الذئب يُغْبَط بذي بطنه » عقب بأن « نحو هذا في أمثال العامة قولهم : من رأى الجمل الأبيض ظنه كله شحما »[29]

كما عقب على المثل : « رُبَّ عَجْلَة تَهَب رَيْثاً » بأنه « في ألسنة العوام اليوم موجود معناه ، يقولون : من عجل ابطا ».[30]

---

25) زهر الأكم 71د 1 ص 56
26) زهر الأكم 2 ص 73
27) زهر الأكم 2 ص 78
28) زهر الأكم 2 ص 204 والخضم الأكل بجميع الفم
29) زهر الأكم 2 ص 266
30) زهر الأكم 2 ص 298

وعناية اليوسي بالأمثال الشعبية جعلته يسوقها في غير (زهر الأكم)، على حد ما فعل في (الفهرست) ، إذ أورد منها : « ينسى الراس ولا ينسى الكراس »[31] و « لو كان في المغرب خلتين ما تباع القمح بدرهمين »[32].

وهو في هذا المضمار ، يعير اهتماماً دقيقا لخصائص النطق في التعبير العامي لهذا الإقليم أو ذاك ، على نحو ما تكشف عنه هذه الفقرة التي يقول فيها : « من جملة ما اتفق لي في هذه السفرة إلى جبال الزبيب وسفرات أخرى لزيارة الشيخ عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه أني سمعت لغة لأهل تلك الجبال يكسرون آخر الموقوف عليه ، فتتبعتها استقراء فوجدتها لها ضابط . وقد رأيت غيرهم من أهل الآفاق يسمعون عنهم ذلك فيحكونه على غير وجه ، وينسبون إليهم ما لا يقولون ، جهلاً منهم بضوابطه ؛ فإنهم لا يكسرون إلا الفتحة بعدها ألف . أما الألف المقصورة كالدنيا ، أو الممدودة كالسماء والطلباء والشرفاء ، والأصلية كالماء ، أو المقلوبة عن هاء التأنيث في مجرى العرف كالبقرة والشجرة والصفحة ، فإن العوام من غيرهم يقولون في الوقف على هذه : البقرا والشجرا بألف ، وهؤلاء يكسرون فيقولون : البقري والشجري ، وتنقلب الألف ياء ، وهذا كله في الوقف ، فإن وصلوا نطقوا بالألف كغيرهم ، وإن لم يكن الفتح ولا ألف كالشجر والبقر مراداً به الجنس وقفوا بالسكون كغيرهم .»[33]

ويدخل في هذا النطاق ذكره لبعض الكلمات كـ : « الخليع »[34] و

---

31) الفهرست ص 104
32) الفهرست ص 143 والخلة موضع أسفل درعة
33) المحاضرات ص 141
34) المحاضرات ص 77

« الشرلويط »[35] و « الزريبة »[36] و « الخالص »[37] و « الكسكسو » الذي قال عنه إنه يكتب كذلك بالنون : « الكسكسون ».[38]

وحديثه عن الطعام جعله يتحدث عن التداوي ببعض الأكلات الشعبية المعتاد عليها ، على حد ما يحكى عن نفسه اذ يقول : « دخلنا مدينة فاس ... فأصابني إسهال مفرط وطال بي ، وكان الطبيب يعتني بأمري ، فلم يترك من دواء يستحسنه إلا صنعه لي ، فلما لم يفد ذلك أرسل في غيبة مني إلى عيالي يقول لهم إن كان لهم من الطعام ما يعتاده في بلده ، فذكروا له الاقط واصطنعوا عليه طعاماً فأكلته فعفاني الله تعالى . وقد أصابني مرة أخرى ذلك فدخلت على السلطان رشيد بن الشريف ... فرأى تغيرا في وجهي فسألني فأخبرته ، فقال : وماذا صنعت من علاج ؟ فقلت له إن الطبيب يصنع لي شراب الريحان ، فتضاحك ثم قال : سبحان الله مالك ولشراب الريحان وأين عهدته ؟ خذ سويق الشعير واخلطه بالماء فذاك دواؤه »[39]

كما أن حديثه عن الأطعمة جعله يتحدث — من خلال حكاية شعبية — عن بعض الأكلات وارتباطها بالعادات ، وفي ذلك يقول : « دخلت في أعوام الستين وألف مدينة مراكش عند رحلتي في طلب العلم ، وأنا إذذاك صغير السن ، فخرجت يوماً إلى الرحبة أنظر إلى المداحين ، فوقفت على رجل مسن عليه حلقة عظيمة ، وإذا هو مشتغل بحكاية الأمور المضحكة ، فكان أول ما قرع سمعي منه أن قال : اجتمع

35) المحاضرات ص 91
36) المحاضرات ص 107
37) المحاضرات ص 68 ورسالة (جواب الكتاب) ص 25
38) المحاضرات ص 66 — 67
39) المحاضرات ص 66 — 67

الفاسي والمراكشي والعربي والبربري والدراوي ، فقالوا : تعالوا فليذكر كل منا ما يشتهى من الطعام . ثم ذكر ما تمناه كل واحد بلغة بلده وما يناسب بلده ، ولا أدري إذا كان ذلك في الوجود ام شيئ قدَّره وهو كذلك يكون . وحاصله أن الفاسي تمنى مرق الحمام ولا يبغي الزحام ، والمراكشي تمنى الخالص واللحم الغنمي ، والعربي تمنى البركوكش بالحليب والزبد ، والبربري تمنى عصيدة أبلي وهو صنف من الذرة بالزيت، والدراوي تمنى تمر الفقوس في تجمدرت ، وهو موضع بدرعة يكون فيه تمر فاخر ، مع حريرة أمه زهرا ، وحاصله تمر جيد وحريرة . ولو عرضت هذه الحريرة على العربي لم يشربها إلا من فاقة ، إذ لا يعتادها مع الاختيار ، ولو عرضت العصيدة على الفاسي لارتعدت فرائصه من رؤيتها وهكذا »[40].

وقد عرض لبعض هذه العوائد في رسالته (جواب الكتاب) ، وهو يعدد أسباب استثقاله لسكني مدينة فاس ، إذ ذكر « منها فساد طبع العيال والأولاد والأصحاب ونخشى ذلك نحن أيضا في أنفسنا من جهات : إحداها تعلم الشهوات والاتساع فيها ، وإن كنا بالبادية لا نعرفها ، ووجدنا آباءنا يعيشون بما وجدوا قانعين به ، يلبسون الصوف الخشن ويأكلون البرتارة والشعير أخرى والدخن أخرى والتمر أخرى والبلوط وحب العرعار أخرى ، حامدين شاكرين ؛ ما رأوا قط لباب البر ولا إبزاراً ولا عطراً ولا كتاناً ولا ملفا ... ثانيها الوقاحة في ذلك وقلة الحياء ، فقد كنا في البادية تستحى المرأة أن تطلب اللحم فكيف بما وراءه ، ولكن تتشوف إلى المواسم أو ضيف نزل فيذبح له أو يشترى له أو انفاق يأتي به الله من غير استدعاء ، فوجدنا المرأة في الحاضرة تراعى الباب وتقول للرجل : انفق وارجع للسوق ، ولا تسمع إلا سوق اللحم ، سوق الحوت ، سوق

---

40) المحاضرات ص 68

الزعفران ، وهكذا . وإن لم يكن ذلك وقع التداعي وجاء رجل القاضي ... ثالثها أن يتعلم الصبيان اللؤم والبخل وقلة السماحة كما هو دأب أهل الحاضرة ، وما فسدت طبائع العرب إلا في الحواضر ... »[41]

ومن العادات والتقاليد الشعبية ذكر اليوسي عادة عقد الأنكحة في المسجد بسجلماسة[42] . وعادة إطعام الطعام في الزوايا . فقد « شاع اليوم إقامة الصوفية في الزوايا بإطعام الطعام ، ولاسيما في بلادنا المغربية ، وخصوصا في البوادي ، وما يكون من فتوح يأتي به إلى يد الشيخ ، وهوينفق منه على المجاورين والواردين . وهذا قد كان فيهم من قديم »[43] .

كما ذكر عادة التطير من السواد كعدم زجر الكلب الأسود . والتشاؤم من الغربان ، وعدم ارتداء الثوب الأسود ، وعدم ركوب الفرس الأدهم.[44] وانطلق منها ليتناول الحديث النبوي الشريف : « لا عدوى ولا طيرة » ، وفي ذلك قال : « فالحق عندنا في تأويله أنه إثبات لانفراد المولى جل بكل التأثير وألا تأثير لشيء مما يتوهم العرب أنه مؤثر لا في باب العدوى ولا في باب الطيرة لا انه نفي لما جرت العادة بوجوده »[45]

ومع ذلك فهو يحارب العادات القبيحة . ممثلاً لذلك بما « حكى عن بعض الناس أنهم ما يذبحون الضحية وأنهم متَى ذبحوها أصابتهم مصيبة . فلما اعتادوا ذلك تركوها . فتمادوا على هذا الضلال حتَّى انتهى الأمر إلى رجل منهم موفق فقال : والله لا أترك السنة ولأضحين . فلما ضحى يبست

41) رسالة (جواب الكتاب) ص 22 — 23
42) المحاضرات ص 60
43) المحاضرات ص 117
44) المحاضرات ص 80
45) المحاضرات ص 82

يده اليمني ، فقالوا : هذا الذي حذرناك ؟ قال : لا أبالي . فلما أتته الضحية من قابل ضحى أيضا ، فيبست يده الأخرى . فلما ضحى الثالثة يبست رجله . ولما ضحى الرابعة يبست رجله الأخرى . ولما ضحى الخامسة انطلق ولم يبق به بأس ، وانقطعت تلك العادة الباطلة ، وتبين أنه شيطان يعبث بهم ويفسد عليهم دينهم »[46]

وإذا كان اليوسي ينطلق في نزعته الشعبية هذه بشيء من العفوية والتلقائية ، كما ذكرنا من قبل ، فإنه كان يتحرك كذلك بوعي يجعله يراعي الجماهير ويدخلها في اعتباره ، على حد ما تكشف عنه الفقرة التي يتحدث فيها عن التبرك بآثار الصالحين ، والتي يقول فيها : « ورأيت في بلاد المصامدة ، وخصوصاً في بلد رجراجة من هذا كثيراً ، بقي عندهم موروثاً خلفاً عن سلف ، عند ما يدورون على صلحائهم زائرين . ولما حضرت معهم في الدور ... سنة خمس وتسعين وألف ، لم أرافقهم في فعل كثير مما يفعلون ، مخافة أن يتخذني العوام حجة فيبالغون في ذلك »[47]

وهو من أجل ذلك يرى ضرورة تبسيط القضايا عند تلقينها للعامة ، وخاصة في مجال العقيدة ، منطلقاً من أن « ... من كانت له قابلية في الفهم والنظر فحسن منه أن ينظر لكل عقيدة في دليل اجمالي تطمئن به النفس . ومن لا طاقة له بذلك فلا يطلب به . وإنما لم أذكر لكم الأدلة في هذه الرسالة مخافة أن أهول بها على من لا يقدر عليها ».[48]

وكمثال على منهجه التبسيطي في التلقين نورد ما حكى عن إحدى زياراته لسجلماسة ، حيث وجد أن طلبتها« نظروا في كلام من حرص من الأيمة على النظر في علم التوحيد وحذر من الجهل فيه ومن التقليد ،

46) المحاضرات ص 85 — 86

47) المحاضرات ص 37

48) الرسالة الأسفية ق 302 ص 336

فجعلوا يسألون الناس عما يعتقدون ويكلفونهم الجواب والإبانة عن الصواب ، فربما عثروا على قاصر العبارة عما في قبله أو متلجلج اللسان لدهش ناله أو جاهل بشيء مما يقدح في العقيدة أو يظنونه قادحاً ،وإن لم يقدح فيشنعون عليه الجهل والكفر ، ثم أشاعوا أن الفساد قدظهر في عقائد الناس ، وجعلوا يقررون العقائد للعوام ، فشاع عند الناس أن من لم يشتغل بالتوحيد على النمط الذي يقررونه فهو كافر ؛ وشاع عندهم أن من لم يعرف (لا إله إلا الله) أي النفي والإثبات على التقرير الذي يقرره العلماء فهو كافر . فدخل من ذلك على عوام المسلمين أمر عظيم وهول كبير . فلما دخلت البلد جاءني الناس أفواجاً يشتكون من هذا وأن ليس كل أحد يبلغ إلى فهم تقارير العلماء ؛ فأقول لهم إن الله تعالى إنما تعبدكم باعتقاد الحق في أنفسكم ، أفلا تشهدون أن الله تعالى حق ؟ فيقولون : بلى ، أفلا تعلمون أنه واحد في ملكه لا شريك له ولا إله معه وكل معبود سواه باطل ؟ فيقولون : بلى هذا كله يقين عندنا لا نشك فيه ولا نرتاب . فأقول لهم : هذا هو معنى كلمة الإخلاص المطلوب منكم اعتقاده سواء عرفتموه من لفظها أولا ... ولا يشترط فهم ألفاظها التي يعبر عنها في كتب العلماء ولا إدراك حدودها ورسومها التي تعرف بها ، فإن فهم هذه العبارات والإحاطة بهذه الحقائق والتقريرات علم آخر لم يكلف به العوام ... » (49).

ولم يكن منهج اليوسي في التلقين يعتمد التبسيط فقط ، ولكنه كان يعتمد التدريج كذلك مع مراعاة شعور الملقن له فقد حدثه « بعض الفقراء عن شيخ له من أهل العصر المتصدر لصحبة المريدين انه بينما هو جالس في محله جاءه فقير غريب وأظنه قال من ناحية السوس الأقصى ، فلما قرب

49) المحاضرات ص 76 — 77

منه تكلم لبعض من كان حاضراً بلسانه البربري ، فقال له : قل لذلك الرجل — يعني الشيخ المذكور — أما بقيت في الدنيا مصابيح يقتبس الضوء منها ؟ فبلغ الرجل ذلك للشيخ ، فقال الشيخ : قل له قد بقيت ولكن من جاء يقتبس أتي بفتيلة مبلولة . فقال الفقير : قل له ما معنى بللها ؟ فقال الشيخ : قل له لا أقل من أن يطلب أو يترجى الولاية . قال : فوضع الفقير يده على جبهته ساعة ثم انصرف من هنالك . فلما رأيت الفقير الذي حدثني تبجح بهذا الكلام الصادر من شيخه وجعله من التنبيهات المهمة للسالك ، وكنت جاريته كلاماً في استحلاء الطاعة فقال : ان تلك الحلاوة علة . وعلمت أنه أيضا قد بني على ذلك ، وأنهم سمعوا نحو قول الواسطي رحمه الله : استحلاء الطاعات سموم قاتلة ، فأردت أن أنبه على غلط يخشى في هذا الأمر ، فأقول ... إن كلا من الكلام الواقع للواسطي والواقع من هذا الشيخ صحيح في نفسه ، وهو تحقيق في بابه وعند أربابه ، أما إلقاؤه لعوام المتوجهين فغلط في التربية إما جهلاً وقصوراً وإما تمويهاً وتظاهراً بالنهايات . أما حديث الولاية فمن وجهين : الأول أن التدريج معتبر عند الناس وهو حكمة الله البالغة الجارية في الناميات الحسيات والمعنويات ، ثم ارتكاب أخف الضررين مطلوب شرعاً .... [50]

ويضيف اليوسي في شرح رأيه بضرورة التدريج في تلقين العوام وإغرائهم وعدم تنفيرهم أنه لو « ... ألزمنا هذا عزل النفس عن الحظوظ وتجريد القلب للحقيقة ، أوشك أن تحيص نفسه حيصة وهي لم تزل قوية ، فيعود من حيث جاء . ولعلك تفهم بهذا سر امتلاء كتاب الله تعالى بذكر الجنة وما فيها من الحور والقصور والغلمان والأنهار . فإن الدعاء بمثل

50) المحاضرات ص 149 — 150

هذا هو مشرب النفس ، وهو حال عامة الخلق ، والله تعالى أعلم بمصالح عباده . ثم إنه إذا ارتفع المريد عن هذه الحالة واشرأب إلى ما وصل إليه العارفون وانتهض لسلوك هذا المسلك والاشتغال بعمله من العزلة والصمت والجوع والسهر ، فلو توهمنا فيه التشوف إلى حصول الوصول أو الولاية أو المعرفة أو الفتح أو القرب أو نحو ذلك ، فلا ينبغي أيضا أن نعاجله بالتحقيق ونطالبه بالعبودية والفناء عن الأغيار من أول وهلة . بل نرخى له العنان حتى يتمكن في الرياضة وتنقاد نفسه ويقشعر جلده وقلبه لذكر الله . فعند ذلك يسهل إشالته مع السابقة والتوفيق اما على لسان شيخ ناصح أو أخ صالح أو بعض من ينصره الله به »[51]

ولعلنا بعد هذا لا نستغرب من تجاوب الجماهير معه وإقبالها عليه بشكل كان يزعج السلطة الحاكمة باستمرار . فقد : «كان حيثما قرأ يطبق الناس عليه ويغص مجلسه بالخلائق مع ميلان العامة إليه . فكان لأجل ذلك ينقله السلطان من موضع إلى آخر »[52] . « ورزق الإقبال من الخلق فيجتمع عليه الجم الغفير حيث أقام ، حتى كان السلطان لا يتركه أن يقر في مزار ، بل يأمره بالرحيل في أقرب مدة من الموضع الذي استقر فيه إلى موضع آخر ».[53]

---

51) نفس المصدر

52) الدر المنضد للكردودي 1584 د الورقة 317 و

53) التقاط الدرر للقادري 676 د ص 64

الفصل الثالث

مواقف جريئة وآراء صريحة

عاش اليوسي في عصر يغلي بالأحداث والتحولات السياسية والثقافية ، ويسعى في البحث عن بنيات جديدة يأخذ بها طريقه نحو الانضباط والاستقرار ، وكان يشعر بمسؤليته نحو مجتمعه بجماهيره وقياداته الحاكمة والمفكرة.

ومن ثم ، فإنه بفكر علمي مستقيم ونفسية متقدة أبية وروح صوفية شفافة وشجاعة أدبية جريئة ، طرح كل الإشكاليات التي تولدت عن هذا الوضع ، بما في ذلك نظام الحكم الذي حاول توجيهه وتنبيهه ولفت نظره إلى ما يقومه ويصححه ويحقق له المشروعية والشعبية.

وقد شهد له بذلك المؤرخون والدارسون ، فوصفه الكردودي بأنه «كان قوالاً للحق يخاطب به السلطان ولا يبالي »[1] وقال عنه القادري انه «كان ماهراً في المعقول والمنقول بحراً زاخراً لا تأخذه في الحق لومة لائم ، وقد بالغ في الذب عن الشريعة والحرص على تقرير أصولها الرفيعة ، فقد كان سيفاً من سيوف الدين وقاطعا لحجج المبطلين ، لا يخاطب السلطان إلا بصريح الحق مشافهة ومكاتبة »[2]

وذكره الزياني مع معاصريه من قضاة العدل كعبد السلام جسوس

---

1) الدر المنضد الورقة 217 ظ

2) التقاط الدرر ص 64

والحسن بن رحال وسعيد العميري ، وزاد فاعتبره « سابق حلبتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإقدام على السلطان ، يقول الحق والنكير على الولاة فيما يرتكبونه من الجور على الرعايا ... فإنه كان كثيراً ما يخاطب السلطان في النوازل والحوادث تارة بوجه الشفاعة وتارة بالوعظ ومرة بالنكير ، ولاقي منه مكاره تارة بالعتب وتارة بالرد وتارة بالهجران ، وكان لا يرده ذلك عن مخاطبته »[3].

وكان ابن زاكور قد وصفه في احدى قصائده المدحية بمثل هذه الأبيات :[4]

يعنو له الجبار ذو البتار وهو به مقلد
ويهابـه من لم يذق لوداده طعماً فيُرعد
...
وأباد من سحب الجهالة ما تكاثف أو تكلد

ورمى الضلال بأسهم من سنة الهادي فأقصد

وإذا نحن أمعنا النظر فيما صدر عن اليوسي من مواقف وآراء إصلاحية بل ثورية ، ألفيناها تنطلق عنده من مباديئ تعتمد الحديث النبوي القائل : « صنفان إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس : الأمراء والعلماء . وقد فسدا جميعا ، وإلى الله المشتكي . وكان الأمر يصلح بأيمة العدل وفقه الفقهاء وأدب الصوفية ، وقد فسد هؤلاء الثلاثة بالجور والمداهنة والبدعة ، ففسد الدين بهم أولاً والدنيا ثانياً ، كما قيل :

وهل أفسد الدين إلا الملو ك وأحبار سوء ورهبانها

3) تحفة الأعلام ك 224 ص 162
4) الديوان ص 40 — 41 ، وانظر كذلك رياض الورد ص 22

وباعوا النفوس ولم يرتجوا ولم تغل في البيع أثمانها
لقد وقع القوم في جيفة يبين لذى العقل انتانها ».[5]

ويتضح من هذا القول الملخص لنظرية اليوسي ، أن مواقفه وآراءه تسير في اتجاهات ثلاثة :

أولا : سنيته ومحاربته للبدع والخرافات واجتهاده الفقهي
ثانيا ربطه بين العلم والعمل ومسؤولية العلماء الجهادية
ثالثا : انتقاده للسلطان وتوجيهه له.

* * *

أما سنيته فتنم عنها القضايا العقدية التي تناول في كتبه ورسائله التوحيدية ، كما تنم عنها أقواله وتوجيهاته التي كان يدعو فيها دائما إلى اتباع السنة باعتبارها السبيل الأقوم ، وباعتبار صاحبها عليه السلام وخلفائه من بعده خير من يقتدى بهم .

فهو لا يلبث يسأل الله تعالى « أن يجمعنا على السنة والاستقامة ...واتباع سنته قولاً وفعلاً واعتقاداً ، وذلك هو سبب الفلاح والنجاة لا غير ».[6] وهو يؤكد أنه ﷺ « هو القدوة في أقواله وأفعاله وتقاريره ، وكانت القدوة بعده من شهد الله له ورسوله ﷺ . قال تعالى : (واتبع سبيل من أناب إلى) وقال تعالى : (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) إلى غير ذلك من الآيات . وقال ﷺ : اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر ، وهما حبل الله الممدود من تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى . وقال ﷺ : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ .

---

5) المحاضرات 106 — 107
6) رسالته إلى أهل بلد كارت ص 342

وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، والضلالة وصاحبها في النار »[7]

ومثل هذا الموقف الواضح كان لاشك يفرض على اليوسي مسؤولية محاربة كل تلك البدع والضلالات ، والتوعية بها على صعيد الجماهير التي كانت يومئذ تعيش اضطراباً فكرياً وعقدياً نتيجة انتشار الشعوذة والتدجيل المختفين وراء ستار التصوف ؛ وإن كان يرى أنه « ما زال التمسك بالسنة المحمدية بمغربنا والحمد لله ، وظهور الحق والعدل وتغيير المنكر وإخفائه لمن ابتلى بشيئ من ذلك بخلاف هذه البلاد ... »[8]

وقد ظهرت حرب اليوسي للانحرافات الدينية في أكثر من مناسبة ، فلدا حديثه عن الشجرة الخضراء التي اشتهرت بسجلماسة وكثر تعلق الناس بها إلى حد أمر بعض الفقهاء بقطعها ، يقول : « فليعلم الناظر أنها إنما هي شجرة لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع ، ومثلها أحق أن يقطع ».[9]

وهو ينبه على الرجل الذي ظهر في سجلماسة ، وشاع عنه أنه ولي وأنه صاحب الوقت ، وخرج الناس لرؤيته ، وكذلك أمير البلد ؛ وتعذرت رؤيته فدخل قبة في المقابر « فأخرج كفه من طاق في القبة فجعل الناس يقبلون الكف وينصرفون ... ثم بعد أيام سمعنا أنه ذهب الى ناحية الغرفة ، وأنه سقط في بئر هنالك ومات . فظهر أنه رجل مصاب ، وكان يشتغل باستخدام الجان ونحو ذلك فهلك »[10]. ومثله الرجل المدعي الصلاح بهبيكورة ، وهو يفعل الفاحشة[11] ؛ وكذلك الرجل الذي كان يعد

7) رسالة ندب الملوك إلى العدل 364 د ص 221
8) الرحلة الورقة 100 و (والمقصود بهذه البلاد مصر)
9) المحاضرات 36
10) المحاضرات 38 — 39
11) المحاضرات 39

الناس بأن يبلغهم إلى مكة ويحج بهم في طرفة عين . ولكن بعض الأشراف اختبروه وطردوه بعد أن قبل رفع الصلاة عن أحدهم مقابل مبلغ من المال ، ثم تبين بعد ذلك أنه يهودي .[12]

وكان إحساس اليوسي بوجوب محاربة كل الشوائب والخرافات يحثه على ربط هذا الوجوب بمسؤولية العالم في المجتمع ، ويجعله يرى أنه « إذا ظهرت البدعة وسكت العالم فعليه لعنة الله »[13]

ومع ذلك ، وعلى الرغم من أن رأي اليوسي وموقفه واضحان بما لا يدع مجالاً لأي شك في عقيدته وسلوكه ، فإنه تعرض لبعض الطعن من لدن بعض الكُتاب الذين لم يتصوروا إمكان توفيقه بين السنية والتصوف ، في خلط عندهم بين التصوف السني التعبدي القائم على الاقتداء بالرسول عليه السلام والعمل بما يرضي الله ويقرب إليه بعلم ومعرفة ، وبين طرقية الجهال المشعوذين ؛ والسبب أن الخيط بينهما رفيع دقيق لا يستطيع إدراكه من لم يقف على حقيقة التصوف .

ومن ثم ، فإن اليوسي لم يضق بهذا الطعن ، ورد على متهميه ، مدافعاً عن نفسه بموضوعية ، ومحاولا في نفس الوقت أن يبين المعنى الحقيقي للتصوف . أو ما عبر عنه بـ (تفقرت). وفي ذلك يقول : « ... وأما قول الكتاب : وأردت أن تدنس العلم وتنجسه بتفقرت الخ ، فأقول : لابد أن يبحث عن معنى تفقرت المذكورة لتعرف ، فإن الحكم على الشئ فرع تصوره . فإن أريد بها أحوال الجهال من المبتدعين المدعين بغير علم ولا دين ، فلاشك أنها نجاسة وقذارة ، ونحن لا نريدها بل نعوذ بالله منها ومن

---

12) المحاضرات 39 — 40

13) المحاضرات 40

أهلها . وإن ادعاها أحد علينا لابد أن ينص لنا على عين ما ارتكبناه من ذلك لنعرفه فنتوب إلى الله منه إن وفقنا ، وإلا فلا يجوز أن يظن بالمسلم السوء وينسب إلى ارتكاب مالم يرتكب . وإن أريد بها العمل لله بما يرضي من حيث يرضي ، والسلوك على المنهج المرضي عند أرباب الطريق أو المعرفة أو المشاهدة ، فلاشك أنها بهذا المعنى ليست بنجاسة ولا تنجس العلم ، بل هي ثمرة العلم ولبابه ، وهي أحد ركني الدين . فإن الشريعة لها ظاهر وهو للفقهاء ، وباطن وهو للصوفية ؛ وإنما يكمل الأمر بهما معاً . ولهذا يقال : من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقق . فمن أنكر هذا وجعله نجاسة أو جعل صاحبه داخلاً في حزب الشياطين فقد أنكر الشريعة »[14] .

وهو في عرضه لأحوال الجهال المضللين لا يكتفي بالتلميح والإشارة ، بل يطرحها بوضوح من خلال أنماط تدجيلية واقعية تعيش وسط المجتمع ، مستغلة بساطة بعض أفراده « ... فما شئت أن تلقي جاهلاً مسرفاً على نفسه لم يعرف بعد ظاهر الشريعة ، فضلاً عن أن يعمل به ، فضلاً عن أن يخلص إلى الباطن ، فضلاً عن أن يكون صاحب حال ، فضلاً عن أن يكون صاحب مقام ، إلا وجدته يصول ويقول وينابذ المعقول والمنقول ، وأكثر ذلك في أبناء الفقراء يريد الواحد منهم أن يتحلى بحلية أبيه ويستتبع أتباعه بغير حق ولا حقيقة ، بل لمجرد حطام الدنيا ، فيقول : خدام أبي وزريبة أبي ، ويضرب عليهم المغرم كمغرم السلطان ، ولا يقبل أن يحبوا أحداً في الله أو يعرفوه أو يقتدوا به غيره . وإذا رأى من يخرج يطلب دينه

---

14) رسالة (جواب الكتاب) ص 63 . وحثه على الجمع بين التفقه والتكلم والتصوف وارد في مواطن كثيرة يكفي أن نذكر منها قوله في رسالته إلى أهل بلد كارت : « وعليكم بالتعلم والسؤال عما لا تعلمون ، ولا تكتفوا بعقولكم وقلدوا الفقهاء في الأحكام الشرعية من الديانات والحلال والحرام ، والمتكلمين من أهل السنة في العقائد الدينية ، ولا تقلدوا في الآداب وصلاح القلب إلا أرباب القلوب » (ق 302 ص 348)

أو من يدله على الله تعالى يغضب عليه ويتوعده بالهلاك في نفسه وماله ، وقد يقع له عليه شيء من المصائب بحكم القضاء والابتلاء فيضيفه إلى نفسه ، فيزداد بذلك هو وأتباعه ضلالاً . ثم يخترق لهم من الخرافات والأمور المعتادات ما يدعيه سيرة ودينا يستهديهم به ثم يضمن لهم الجنة على مساوئ أعمالهم ، والشفاعة يوم الحشر ، ويقبض على لحمة ذراعه فيقول للجاهل مثله : أنت من هذه اللحمة . فيكتفي جهال العوام بذلك ، ويبقون في خدمته ولداً عن والد ، قائلين : نحن خدام الدار الفلانية وفي زريبة فلان لا نخرج عنها وكذا وجدنا آباءنا . وهذا هو الضلال المبين ، وهؤلاء قطاع العباد عن الله تعالى وعن دينه ... »[15]

ويذهب الموقف باليوسي بعيداً إلى حد أن يقول : « فكم من ولي لله تعالى في وسطه زنار ، وكم من كافر يؤذن فوق المنار »[16]

ويخلص من ذلك إلى مثل هذا التوجيه الداخل في نطاق مواجهة المبتدعين ، وفي نطاق توعية الجماهير كذلك :[17]

يا أيها الناس اعلموا انما	عبد الإلاه الظافر الناجح
من يعبد الله ويعني بما	يعنيه لاوانٍ ولا مازح
ولا أخو دعوى ولا مفتر	ولا بمرتع الهوى سارح
والمرء لا يجني سوى غرسه	غاد إليه كسبه رائح
وما على المرء سوى جده	وجهده وربه المانح

15) المحاضرات 107 — 108
16) المحاضرات 116
17) المحاضرات 110 — 111

ومع ذلك ، فإن اليوسي يتخذ موقفاً وسطاً يجعله يفرق بين المدجلين المشعوذين وبين أولياء الله الصالحين ، ويجعله بالتالي يتبرك بآثار هؤلاء بإيمان وحجية ، وإن في غير غلو ، حتّى لا يقتدَى به العوام فيزيدون على ذلك ويبالغون .

فعنده ان « ...التبرك بآثار الصالحين مع صحة العقيدة لا بأس به وله أصل في فعل الصحابة رضوان الله عليهم ... ورأيت في بلاد المصامدة ، وخصوصاً في بلاد رجراجة من هذا كثيراً بقي عندهم موروثاً خلفاً عن سلف عندما يدورون على صلحائهم زائرين . ولما حضرت معهم في الدور في هذه السفرة ... سنة خمس وتسعين وألف لم أرافقهم في فعل كثير مما يفعلون مخافة أن يتخذني العوام حجة فيتغالون في ذلك . ومع ذلك لم أخل نفسي من التبرك بأمور قريبة لا بأس بها ».[18]

ولدا حديثه عن الأشياخ عبد السلام بن مشيش وأبي يعزى وأبي سلهام وأبي القاسم الجزولي وابن ياسين الدغوغي ومحمد الشرقي[19] ، يؤكد أنهم مجربون في قضاء الحاجات . وقد وجد المولى ادريس أيام مقامه في مدينة فاس « ترياقاً مجرباً في كل ما أنزل به من حاجة »[20] . وذكر ما حدث له في مقام سيدي أبي علي القجاتي بالزاوية البكرية ، وكانت زوجته قد « تراخت عنها الولادة » وما كان لزيارة هذا المقام والإطعام فيه من أثر جاءت على إثره ولادة ابنه محمد[21] ؛ ثم ما كان لزيارته مرة ثانية من أثر على بنية له كانت تعجز عن النهوض ، ثم لم تلبث أن قامت على رجليها ماشية.[22]

---

18) المحاضرات 37

19) المحاضرات 61 — 62 — 65

20) المحاضرات 61

21) المحاضرات 62

22) نفسه

ويبدو أن اليوسي كان في هذا السلوك ينطلق من حافزين اثنين :

أحدهما يتمثل في إيمانه الصوفي العميق .

والثاني : تأثره بعادات وتقاليد اجتماعية ، مهما كان موقفه من انحرافاتها ، فهو يسايرها ويحاول أن يظل ماسكاً بزمام المبادرة فيها والتوجيه .

ولعل وسطية اليوسي هي التي جعلته يرفض المبالغات الصادرة عن بعض العلماء العارفين ، على حد ما حدث له مع أحمد الحلبي شاعر النبويات المشهور ، فقد « كان ...من المعجبين بنظمه ، وكان يقضي له كل ضرورياته من ماله ، لغربته ونفاسة علمه ، حتى نظم قصيدة تكلم فيها على لسان الحق ، فنقم عليه الشيخ اليوسي ذلك ونهاه سداً للذريعة وحماية لجانب الشريعة ، مخافة أن يقتدي به في ذلك من ليس له حظ هنالك فلم ينته ... عن فعله لعلمه أنه فيه على بصيرة من ربه ، وأنه يتكلم بلسان الوجد والحال لا بلسان التمشدق والابتذال ، فهجره اليوسي رحمه الله واغتاظ عليه وقطع عنه ما كان يوجهه إليه »[23].

والحقيقة أن اليوسي — بمسالمته وعدم تطرفه — كان ميالاً إلى العمل بمبدأ سد الذرائع وفتحها . وقد ذكر من ذلك على سبيل التمثل قضية الإمام مالك حين قيل له : « تترك الجماعة والجمعة وإذا دعاك السلطان أسرعت إليه » فأجاب : « لو لم أفعل هذا لم تر بهذه البلدة سنة قائمة »[24].

كما ذكر « ما كان فعل الإمام العلامة القاضي اسماعيل بن حماد ، فقد

---

23) الأعلام لابن ابراهيم ج 2 ص 132 — 133 ط أولى
24) المحاضرات ص 146

روى أنه دخل عليه عبدون بن صاعد الوزير وكان نصرانياً ، فقام له ورحب به . ورأى ممن حضر من العدول وغيرهم إنكاراً لذلك ، فلما خرج قال لهم : قد رأيت إنكاركم ، وقد قال الله تعالى : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم . وهذا الرجل يقضي حوائج المسلمين ، وهو سفير بيننا وبين المعتضد ، وهذا من البر »[25]

وأورد من هذا القبيل أيضاً إكرام أبي بكر الدلائي للعكاكزة أولاد عبد الحق بن المنزول ابان هروبهم من بلادهم ، إذ « نزلوا بساحته وهم جياع ، ووجدوا زرع زاويته محصوداً مجموعاً ، فقال لهم : ادرسوا وكلوا . فقام إليه ولده الكبير أبو عبد الله ... فأنكر ذلك ، وقال إن هؤلاء فساق أو كفار ، ثم هم ظلام محاربون ، فكيف تعينهم وتبيح لهم زرع المساكين . فقال أبوه : إني أريد أن أتخذ عندهم يداً ، فإذا استلبوا مسكيناً يوماً ما وجاء إليَّ يشتكي كتبت إليهم كتاباً ، فلابد أن يراعوا هذا الخير فيردون عليه متاعه ، فأنا إنما فعلت هذا لحق المساكين »[26]

ويعتبر قول اليوسي بهذا المبدأ والعمل به من أهم آرائه الدينية . ومثله في الأهمية إعطاؤه قيمة للعادة ، على حد ما تكشف نصوص سبق ذكرها ، وكذلك قوله في عقيدة العوام بأن الإيمان يكفي ، وقد أوردنا نصوصاً تعبر عن رأيه في هذا المضمار ، مؤكدة أن « كل من تشهد شهادة الحق فإنه توكل ذبيحته وتحل مناكحته ويدفن في مقابر المسلمين ».[27]

وإذا كان اليوسي يراعي شعور العوام ومستواهم العقدي والعلمي ،

---

25) نفس المصدر
26) المحاضرات ص 145
27) المحاضرات ص 78

فيبدو متساهلاً بعض الشيء ، فإنه حين يتعامل مع أقرانه من العلماء لا يبدى أي تحفظ أو تخوف ، بل يجهر بالرأي وإن خالفهم فيه.

ويكفي أن نشير من ذلك إلى موقفه في قضية العلم النبوي[28] وما كان له فيها مع عبد المالك التجموعتي ، وكذلك رده على السؤال الذي استفسر به المولى اسماعيل عن وطء الأمة وهل ينشر الحرمة بينها وبين أقاربها كبنتها مثلاً . فقد أجاب بالتحليل كل من القضاة عبد المالك التجموعتي وأبي مدين الفاسي ومحمد بن الحسن المجاصي ، وتنزل اليوسي فأفتي — دون مجاملة أو مراعاة — بانتشار الحرمة بين الموطوءة وفصلها وأصولها ، وبأنه لا سبيل إلى بنتها .[29]

ولم يكن في هذه الفتوى يرتجل القول أو يتسرع في إبداء الرأي ، ولكنه سلك فيها —كما في غيرها من الفتاوى — منهجاً يقضي بأن يدرس النازلة ويناقشها ، مقلباً مختلف الظروف ، وناظراً في جميع الآراء والأقوال ، قبل أن يدلي برأيه ، مناقشاً من جديد ومعللاً ومقدماً للممكن من الحجج والبراهين ، فيبدو وكأنه يترك للسائل حرية الاختيار باعتباره بصيراً على نفسه ومتحملاً لمسؤوليته .

* * *

وأما القضايا التي تناول مرتبطة بالعلم والعلماء ، فتبدأ عنده من طور التعلم وما يقتضي من رحلة للطلب . وقد عقد لهذه الرحلة فصلاً في كتاب (القانون) باعتبارها الظاهرة التي تكشف عن قوة قريحة الطالب ، والمقياس الذي يبلور مدى أهليته ، « ...فإن من احتاج إلى العلم رحل إليه

---

28) أنظر رسالته في مسألة العلم النبوي (راجع القسم الثاني الخاص بسيرة اليوسي البيليوغرافية)

29) أنظر فتواه في ذلك (راجع القسم الثاني)

وطلبه . قال ﷺ : اطلبوا العلم ولو في الصين ، وهو خطاب للمتعلمين ، ولم يخاطب المعلمين أن يتحركوا ليؤخذ عنهم ... وطلب العلم إذا لم تكن معه قريحة وقادة لا ينتج ، وصاحب القريحة لا تتركه قريحته أن ينتظر من يأتيه ... فبالرحلة يعرف من فيه أهلية للعلم فيلزم حقه ...»[30]

وهو في محاولة إبراز دور الهجرة في تكوين المتعلم ، لا يكتفي بطرحها باعتبارها مظهراً لازماً له قيمته ، ولكنه يحللها ويستعرض فوائدها من خلال تجربته الشخصية في الرحلة لاشك ، فيذكر « ...منها التخلص عن شواغل الوطن وفتنه الشرية والخيرية ، ومنها التجرد لأخذ العلم الذي هو شرطه ، ومنها الغربة التي هي مظنة عدم الألفة والخلطة ومعاشرة الناس التي هي احدى العوائق ، ومنها ما يرجو من ثواب خطواته ومشقته وبركة ذلك في العلم والعمل عاجلاً وآجلاً ، ومنها ما يرجو من التيسير واتساع الرزق ... ومنها ما يرجو من اعتناء الشيوخ به أكثر ... ومنها وهو أعظمها امتحان نفسه ليظهر صدقها ... ومنها ما يستفيد بالسفر والاغتراب من الأخلاق الحسنة والرياضات المستحسنة والتجاريب السنية ... »[31]

ثم إنه يعتبر أن « نشر العلم من جملة المصالح الإسلامية العامة »[32]. وأنه « أفضل من الاشتغال بعبادة أخرى »[33]. وعنده أن التعلم والتعليم يدخلان في نطاق الجهاد الذي يهدف إلى دفع خطر الجهل عن الأمة ، وهو يتعدى خطر العدو المهدد للكيان والسيادة وما يفرض من جهاد للدفاع عنهما ، فإن « طلب العلم والاشتغال بالتعلم نوع من الجهاد ، بل هو الجهاد الثاني ، بل أهم الجهادين ، وذلك أن جهاد العدو مطلوب

---

30) رسالة (جواب الكتاب) ص 27 — 28

31) القانون (الملزمة 21 ص 9)

32) القانون (الملزمة 17 ص 7)

33) القانون (الملزمة 17 ص 8)

للدفاع عن بيضة الإسلام ، والعلم مطلوب لدفع الجهل عنهم . ثم إذا نظرنا وجدنا العدو لو تسلط على الأموال والرقاب وهي أمور دنيوية لابد من فراقها إما بذلك أو بغيره والموعد الآخرة . ولو تسلط الجهل عياذاً بالله لم تبق عقيدة صحيحة ولا ايمان ولا عمل صالح وهذا هو الهلاك الأبدي الذي يستمر إلى الآخرة . فتعلم أن الجهاد في دفع الجهل وتحصيل الدنيا أصلاً وفرعاً أهم وأوكد من الجهاد في دفع العدو »[34]

وربط اليوسي بين العلم والجهاد نابع من اقتناعه بقيمة القوة الفكرية والروحية وأولويتها على الماديات ، ونابع أيضا من إدراكه لرسالة العالم وما تتطلب من حرية واختيار ، بعيداً عن أي إلزام أو إكراه ، أو حتَّى النظر في مواقفه وآرائه ومردود أعماله ، وما تتطلب كذلك من إنفاق سخي على العلماء والمتعلمين ، بتخصيص الدولة للأموال اللازمة لقيام الجهاد العلمي ، مثلما ترصدها للمجاهدين الذين يردون العدو عن الوطن ؛ على اختلاف مراتبهم نتيجة اختلاف ما يبطنون من نوايا وما يقدمون من أعمال.

وهو يرى أن الله تعالى أباح لهؤلاء المجاهدين « ...الغنائم فكانوا يتقوون بها على الجهاد... وكانت تدفع لكل من حضر المعركة حكماً شرعياً . والاستقراء قاض بكون الناس في القتال ثلاثة : شخص يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا ومطلبه رضاء الله تعالى ورحمته الباقية ، لا تشوف له إلى المال ولا إلى الدنيا أصلاً ، وهو خير الناس ؛ وشخص يقاتل لذلك أيضاً مع التشوف وهو في وسط الناس ؛ وشخص يقاتل لطلب الدنيا إما مع تشوف إلى الآخرة أولا ، وهو شر الناس ولكن ينفع الله به بالدفع عن غيره .... وكل من الأصناف يقبض المال في جهاده ... فالمشتغلون بالعلم أيضاً تعلماً وتعليماً محتاجون إلى مؤونة وكفاية يتقوون بها علي ماهم

---

34) رسالة (جواب الكتاب) ص 6

بصدده . ولابد أن يكونوا في هذا ثلاثة أصناف كما كانوا هنالك ، وكما لا نتقب عن قلوبهم هناك بل نعطيهم المال جميعاً وحسابهم على الله ، كذلك هنا . وكما أن الانتفاع هنالك يحصل بالجميع من أخلص ومن لم يخلص . فكذلك في الثاني . وكما انه ينبغي أن ينقل هنالك أهل البلاء على حسب مراتبهم في الغنائم ، كذلك هنا ينبغي أن ينقلوا بحسب مرتبة المعلم في العلم وأحكام صنعة التدريس ومرتبة المتعلم في الحذق والنشاط والملازمة . وكما أنه لولا الغنائم هنالك تارة والأعطيات أخرى تعطلت مراسم الجهاد وتعطلت الثغور... لأن المال باعث ...فإذا بطل الباعث وقع الفتور ، اللهم إلا أن يخلفه باعث الإكراه وهو لا يجدى كبير جدوى ... كذلك هنا إن لم يكن المال تعطلت مراسم العلم غالباً إلا أن يكون أيضاً إكراه ، ولا تنتهض معه همة المعلم ، ولا يكون لصدره انشراح ولا لقلبه إقبال ، فلا يحصل للمتعلم انتفاع ، بل يكون ضرباً في حديد بارد ...»[35]

وعلى الرغم من قناعة اليوسي وصوفيته . فإن إيمانه بالتفرغ العلمي وبأحقية الجميع في التعلم ، يجعله يلح في المطالبة بالإنفاق على طلاب العلم ، لفقر معظمهم ، وحاجتهم إلى المال للعيش ، فإنه « ...إنما يحظى به أولاد المساكين ، وهم المنتفعون به في كثير ، ولذلك يقال : لولا أولاد الفقراء لذهب العلم ، وهم محتاجون إلى المؤونة ، والعطاء نافع فيهم وفي غيرهم ... »[36]

يضاف إلى ذلك أن الازدهار العلمي في أي مجتمع . مرتبط بمدى ما يتيحه المسؤولون عن هذا المجتمع للعلماء من ظروف مادية ، متمثلة في الإنفاق السخي ، لسد حاجتهم وتشجيعهم ، وظروف نفسية متمثلة في

35) نفس الرسالة ص 6 — 7
36) نفس الرسالة ص 7 — 8

حسن معاملتهم والاعتراف بما لهم من فضل ومكانة ومن دور فعال «..فمن وفقه الله من الملوك ...فأنفق الأموال في نشر العلم وأقام المرتبات وأحسن الجوائز حيي العلم في زمانه ، وأزهرت رياضه ، وتفجرت حياضه ، وظهرت الفنون الغريبة والفهوم العجيبة . ثم إن سهّل بابه مع ذلك ووطن مجلسه وعاشر بالمعروف وأظهر الجميل تسارع إلى مجلسه أهل العلم . فأشرق مجلسه وتنور محله وعظمت ابهته ؛ ومن لم يفعل ذلك اندثر العلم في زمانه ، فخلت رسومه وهوت نجومه . فأما الطلبة فلعدم وجود الكفاية ولا وجود المعلم . وأما العلماء فكذلك ؛ فمنهم من يشتغل بأسباب معاشه وبمعاش عياله ويرى أن ذلك أوجب عليه من التعليم الذي هو فرض كفاية . وهو حق ، فمن أين يتفرغ للعلم أو يفهمه ؟...»[37]

واليوسي في سعيه للإقناع برأيه ، يخرج من نطاق التنظير والتجريد إلى مجال الواقع ، ليبرز حالة العلم في المغرب ، ويبرر الركود الذي آلت إليه ، رغم وجود كفايات وقدرات في كل مناطقه وأقاليمه ؛ ولكنها خامدة ومتجمدة ، نتيجة ما تلقي من إهمال . ولو أتيح لها التشجيع «لظهرت العلوم في كل بلد من البلاد المغربية . فإن في كل موضع بحمد الله من يكفيه من طلبة العلم ، وإنما خمدوا بعدم المحرك . وما مثال العلم في صدور الرجال إلا مثل الجمر يغطى عليه الرماد . فأدني نفخ يؤججها ؛ أو النار في الحجر ، فأدني اقتداح يخرجها»[38].

والعلم عند اليوسي مقرون بالعمل ، في مزج بين الفكر والممارسة . يبدأ عنده من عبادة الله «وهي مجموعة من علم وعمل . والعلم علمان : علم بالمعبود ، وعلم بما به يعبد . فهذه ثلاثة أقسام . أما القسم الأول وهو العلم

37) نفس الرسالة
38) نفس الرسالة ص 11

بالمعبود فهو التوحيد ، وهو معرفة الله تعالى ، فإن الله تعالى هو المعبود ، ولا معبود بالحق سواه تعالى ... وأما القسم الثاني وهو العلم بما يعبد الله تعالى به ، فهو معرفة أحكام الفقه ... وأما القسم الثالث هو العمل ، فهو الامتثال بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه ، والدوام على ذلك حتى يأتيه اليقين »[39]

بل انه يرى أنه لا علم بدون عمل « ... فإذا كان العالم مسلماً له في علمه ، موثوقا بإمامته ، ثبت للناس حق عليه أن يعلمهم ويرشدهم بحسب الإمكان . وإذا كانت تعاب أفعاله وتعترض أقواله ، فذلك حكم عليه بأنه لا علم عنده ولا وثوق به وحده وتسقط عنه حقوق الناس . فالجمع بين الاعتراف له بالعلم والثقة وثبوت حق الناس عليه والإنكار عليه فيما يقول أو يفعل جمع بين متنافيين »[40]

ويتبلور العمل عند اليوسي في سلوك معين وآداب مضبوطة تشكل عنده حدود التزام يدعو إليه ، وهو ما عبر عنه بالإخلاص . فعنده « أن الناس كلهم هلكى إلا العالمون ، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون ، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون ، والمخلصون قليل ، أي فهم قليل من قليل »[41]

وقد فصل القول عن ملامح هذا الإخلاص في كتاب (القانون)[42] ، وحدد أبعادها عند العالم الملتزم صاحب الرسالة في « ...أمور ، منها تقوى الله تعالى ودوام خوفه ومراقبته في جميع حركاته وفي سره وعلانيته ، وليستشعر ما أودعه الله تعالى من أمانة فيجتهد في

---

39) الرسالة الأسفية ق 302 ص 333 إلى 337

40) جواب الكتاب ص 4

41) نفس الرسالة ص 34

42) الملزمة 16 ص 2 — 3 — 4

حفظها ويحذر من الخيانة فيها ... ويستتبع ذلك الورع والوقار والخشوع والخضوع والسكينة وحسن السمت ... ومنها أن يصونه كما صانه أهله ويحفظ عليه ديباجته وشرفه ، فلا يمتهنه بذهابه إلى غير أهله من أبناء الدنيا من غير ضرورة...[43] ومنها أن يزهد في الدنيا ويتنزه عن فضولها لأنه أعلم الناس بخستها... ومنها أن ينزه علمه عن أن يجعله سلماً للأغراض الدنيوية من مال وجاه ورياسة وتقدم وشهرة ونحو ذلك ...[44] ومنها أن يتنزه عن دني الأفعال والأحوال طبعاً وشرعاً فلا يشتغل بحرفة رذيلة ولا أمر منكر ولا خارج عن المرؤة ولا موهم لذلك ... ومنها أن يأخذ نفسه بالمحافظة على الديأنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جهد الاستطاعة مع الصبر على ما يتحمل من النصب والأذى في ذلك . ومنها أن يأخذ نفسه بالكمال في أقواله وأفعاله من جميع العبادات ... ومنها أن يجاهد في رياضة نفسه وتطهيرها من جميع الصفات المذمومات كالكبر والعجب والرياء والحسد والحقد وحب الدنيا ... ومنها الدوام على تعاطيه والحرص على الازدياد منه . ومنها أن لا يستنكف عن أخذ العلم عن كل من لقي ولو دونه ... ومنها أن يبث علمه للناس ويودعه صدور الرجال ، فبذلك تنبت شجرة العلم وتتصل مادته ، وذلك بالتدريس[45] والتلقين والإفتاء والتصنيف ».

---

43) عقد فصلاً خاصاً عن (ذم العالم على مخالطة الأمراء الظلمة) في القانون ، الملزمة 18 ص 5

44) عقد فصلاً عن (مدح العالم العامل وذم الفاجر وطالب الدنيا بعلمه) في نفس المصدر ص 6

45) تحدث في الفصل التالي عن آداب التدريس فذكر أنها الطهارة والاستخارة والبروز للناس وتكريم المتعلمين والاستهلال ببعض آيات القرآن الكريم ورفع الصوت وصون المجلس عن اللغط والهوس ، وملازمة الإنصاف والأهلية للتدريس.

وإذا كان اليوسي يلزم العلماء بهذا النوع من الانضباط ، فلأنه يريدهم أن يكونوا في موقفهم الطبيعي الذي يخولهم مكانة يقتربون بها من الأنبياء ، ويتفوقون على ذوي الأمر الحكام . فقد «كان في بني اسرائيل يكون الأمير على يد نبي ، فالنبي يأمر والأمير ينفذ لا غير . ولما كانت هذه الأمة المرحومة انقطعت النبوة بنبيها خاتم النبيئين ﷺ فلم يبق إلا العلماء يقتدى بهم . قال ﷺ : علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل . فكان حقا على خلفاء هذه الأمة أن يتبعوا العلماء ويتصرفوا على أيديهم أخذا وعطاء »[46]

ومن ثم ، فإنه إذا «كان علماء هذه الأمة كأنبياء بني اسرائيل ، لزم أن يكون ملوكها كملوكهم ينفذون ما يأمر به العلماء . ولهذا قال الإمام أبو الأسود الدؤلي : ليس شيء أعز من العلم ، الملوك حكام على الناس ، والعلماء حكام على الملوك ...فالعالم له أن ينكر على غيره بالحق والتحقيق ، وليس لغيره أن ينكر عليه ، اللهم إلا إذا كان عالماً مثله أو فوقه ... ».[47]

من هذا المنطلق ، يطرح اليوسي قضية ذات أهمية بالغة ، يوضح فيها علاقة العالم بالسلطة في نوعيتها ودرجتها ، فيرى أن هذه العلاقة تسير في اتجاهات ثلاثة : « الأول أن ينشر الملك الحب ويظهر الجميل والخير فتأتيه العلماء يرغبون فيمن تظاهر بالإحسان وتصدى للإعانة على الخير ، لأنهم يستعينون به على ما هم بصدده ... الثاني أن يبعث إلى العلماء بوجه الخير والمحبة لا الإكراه . والعلماء في هذا تختلف أحوالهم ، فمنهم من يسعف ويأتي ومنهم من يمتنع ؛ ثم الممتنعون منهم من لا يعتذر ولا يبالي ... ومنهم

46) رسالة (براءة اليوسي): انظر الجيش ص 82
47) رسالة (جواب الكتاب) ص 4

من يعتذر ...الثالث أن يلزمهم ذلك إكراهاً وضغطا ، وهذا لا يقتدى به لأنه ظالم محارب لله ولرسوله . وفي الخبر يقول الله تعالى : من آذى لي وليا فقد آذنته بالمحاربة . وقال الإمام الشافعي : إن لم يكن العلماء العاملون أولياء الله فليس لله ولي ...»[48]

ويبدو أنه كان يشعر بصعوبة ارتباط العالم الحق بالسلطة الحاكمة ، وعدم جدوى هذا الارتباط حتى حين تتاح بينهما علاقة طيبة ، وهي صعوبة ناتجة عن الظروف والملابسات التي أصبحت تحيط بهذه السلطة . حائلة دون قيام العالم برسالته ونهوضه بمسؤوليته ، بعد أن غيرت طبيعة الحكم عما كان عليه في عهد الخلفاء الراشدين الذين كانوا أحرص الناس على سماع النصح والنقد ، لاستقامتهم واعتبارهم الحكم لله والقيام به عبادة.

لهذا ، فهو يرى أن « التعرض لما يستحقه صاحب الأمر من بيوت المال وما يكون له أن يأخذه من الناس وما يكون به استحقاق المرتبة من الأوصاف والشروط ، والفرق بين الخلافة المعتبرة شرعاً والتغلب ونحو ذلك ...أمر متعذر لا يستطاع ذكره ولا الحوم بساحته . وقد ذهب الحديث عنه منذ الخلفاء الراشدين ، فإنهم رضي الله عنهم كانوا قد قاموا في هذا الأمر لله تعالى واتخذوه عبادة ، ولو وجدوا من يحمله عنهم لم يكرهوا ، وكانوا مستقيمين على الصراط المستقيم لا تتقي بوادرهم ولا تخشى غائلتهم ولا يأنفون من الحق أن يسمعوه ، بل يطلبونه ويحبون من ينصحونهم بكل جليلة ودقيقة ، ولا يتوقعون منهم إلا المجازاة بالخير آمنين مطمئنين . فلما انقلبت الدولة ملكاً من عهد الأمويين ... وحدثت الشهوة المتبعة والغضب لغير الله والصولة على أعراض الناس ودمائهم وأموالهم بغير

48) نفسها ص 38 ــ 39

حق ، انخنس العلماء وهربوا بأنفسهم طلباً للنجاة ، وعلموا أن النصح لا ينفع ، وعملوا بقوله ﷺ : إذا رأيت شحاً مُطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك ، وتفرغوا للاستعداد لمعادهم وتركوا الخلق في بلواهم ... »[49]

وهذا موقف سلبي لاشك ، وان صدر في ظروف عجز قاهرة . ولكن اليوسي يرى فيه خيراً مع ذلك ، إذا كان مقروناً بنية القيام بالعمل الإيجابي الصادق ، لو توافرت الأسباب لهذا العمل . ولعل الخير فيه لا يأتي من مجرد النية الصالحة وما ينتج عنها من راحة في النفس والضمير . ولكن يأتي كذلك من أن اعتقاد الخير فيها يحمي العالم الذي فقد الامل في أداء رسالته لكثرة الخبث والفساد ، من الوقوع في براثنها والتلوث بهما . وهذا ما جعل اليوسي يخاطب مثل ذلك العالم بأن «انو... ان لو كانت لك قوة على إظهار الشريعة وإحياء السنة وإخماد البدعة وحسم الباطل وإغاثة الملهوف ونصر المظلوم وإقامة ميزان العدل وإصلاح العباد والبلاد ، فعسى أن تنال بهذه النية خيراً ، وقف هاهنا وطب نفساً عما وراءه فلا تلج تلك المضايق ولا تتبع تلك الطرائق » .[50]

* * *

ومع ذلك ، وعلى الرغم من هذا النصح القائم على حث العلماء — مهما كانت ظروف الفشل واليأس — على التمسك بحد أدني من كرامة النفس والعلم ، فإن اليوسي ظل حامل لواء دعوة الإصلاح والتصحيح في عصره ، يجاهر بالقول ويصارح بالرأي ، في غير تخوف أو تحفظ ، وفي غير تهور أو ارتجال كذلك .

49) رسالة ندب الملوك للعدل 364 د ص 227
50) المحاضرات ص 98

ووقوف اليوسي في مثل هذا الموقع راجع لاشك إلى عوامل نرجح أن تكون مرتبطة بالظروف الخاصة والعامة التي واجهها وواجهته. ونستطيع تلخيصها فيما يلي :

أولا : أوضاع عامة مضطربة نتيجة أسباب كثيرة ، من أهمها انتقال السلطة من دولة إلى أخرى ، وظهور تطلعات للزعامة في عدة مناطق ، وخاصة لدا أرباب الزوايا.

ثانيا : قضاء المولى الرشيد على زاوية الدلاء التي كان لها ظهور قوي في الساحة السياسية والفكرية.

ثالثاً : طبيعة تكوين شخصية اليوسي وتفكيره ، على حد ما بينا من قبل.

على أن استفساراً كبيراً يطرح حول معاملة الرشيد لليوسي بعد تخريب الزاوية ، إذ أخذه معه إلى فاس ، ولم يعرضه للنفي أو السجن أو التشريد ، كما فعل مع بقية أعضاء الزاوية. ولكن الإجابة تبقى مجرد ترجيح لجملة افتراضات نتصورها كالآتي :

أولا : السمعة التي كان يتمتع بها اليوسي في مختلف الأوساط

ثانيا : إعجاب المولى الرشيد به وتقديره له. وقد ذكر اليوسي أنه كان يكرمه ويجله(51)

ثالثاً : تعارف سابق بينهما في الزاوية ، أو أيام الطلب في سجلماسة ؛ ولا يستبعد أن يكون أخذ على اليوسي(52) في الزاوية ، لاسيما وأنه ظل يتردد على دروسه في القرويين ويجالسه في قصره.

---

51) انظر (المحاضرات) ص 67

52) انظر (الإتحاف) ج 3 ص 32

رابعاً : رغبة السلطان في الاحتفاظ ببعض عناصر الزاوية اللامعين لاستخدامهم والمناورة بهم.

خامساً : استسلام اليوسي للمولى الرشيد بعد انتصاره.

وإذا كنت استبعد من اليوسي هذا الموقف الأخير، على ما فيه من جانب إنساني، وإن اتسم بالضعف وعدم المقاومة، فإني أميل إلى اعتبار الاحتمالات الأخرى، دون أن ننسي أن الظرف أو قريباً منه تكرر في عهد المولى اسماعيل، حين حوصرت مدينة فاس ومس كثير من العلماء، بينما نجا اليوسي واستأذن في الخروج من المدينة.[53]

مهما يكن، فإن ثورية اليوسي كانت تنطلق من مبدأين أساسيين آمن بهما وألح عليهما في مخاطبة السلطان المولى اسماعيل وتوجيهه وتنبيهه وتحذيره.

أما الأول فرأيه في الحكم، وينسجم مع نظرية الإسلام فيه، وهو قائم على أن الملك في الكون كله لله تعالى، وأن السلطان القائم بالأمر ليس إلا واحدا من عبيده، ابتلاه بالمسؤولية ليلقي جزاءه منه بقدر ما يحسن أو يسيئ في تحملها «...فليعلم سيدنا أن الأرض وما فيها ملك لله تعالى لا شريك له، والناس عبيد له سبحانه وإماء له. وسيدنا واحد من العبيد، وقد ملكه الله عبيده ابتلاء وامتحانا؛ فإن قام عليهم بالعدل والرحمة والإنصاف والأحلام، فهو خليفة الله في أرضه وظل الله على عبيده وله الدرجات العالية عند الله تعالى. وإن قام بالجور والعنف والكبرياء والطغيان والإفساد فهو متجاسر على مولاه في مملكته ومتسلط ومتكبر في الأرض بغير الحق ومتعرض لعقوبة مولاه الشديدة وسخطه. ولا

53) انظر رسالة (جواب الكتاب)

يخفى على سيدنا حال من تسلط على رعيته يروم تملكهم بغير إذنه كيف يفعل يوم يتمكن منه ».[54]

وأما الثاني ، فتأكيده على أن العدل أساس الملك ، وحجر الزاوية في بنائه ، وعنصر استقراره ، وإن مع الكفر ؛ وأن نقطة البدء فيه أن يعدل السلطان في نفسه ، فلا يأخذ من مال المسلمين إلا ما يستحق ، وبعد مشورة العلماء « ... وقد اتفقت حكماء العرب والعجم على أن الجور لا يثبت مع الملك ولا يستقيم ، وأن العدل يستقيم مع الملك ولو مع الكفر ؛ وقد عاش الملوك من الكفرة المثين من السنين في الملك المنتظم والكلمة المسموعة والراحة من كل منغص ، لما كانوا عليه من العدل في الرعية ، استصلاحاً لدنياهم . فكيف بمن يرجو إصلاح الدنيا والدين ...يشبه الملك بناء والجند أساسه ، وإذا ضعف الأساس سقط البناء ؛ فلا سلطان إلا بجند ، ولا جند إلا بمال ، ولا مال إلا بجباية ، ولا جباية إلا بعمارة ، ولا عمارة إلا بالعدل . فالعدل أساس الجميع ... وليعلم سيدنا أن أول العدل أن يعدل في نفسه ، فلا يأخذ لنفسه من المال إلا بحق ، ويسأل العلماء عما يأخذ وما يعطي وما يأتي وما يذر »[55]

وإلحاحه على العدل جعله يتوسل بأمثلة كثيرة من التاريخ يطرحها للوعظ والتنبيه ، فيحكى « عن فرعون لعنه الله أنه دخل عليه بعض أشياعه بمال عظيم فوضعه بين يديه فقال له : من أين هذا ؟ فأخبره أن بعض القرى من أعمالهم كان لهم ماء فتبطل ، وأنه قد أذن لهم في احيائه واجرائه على هذا المال . فقال له فرعون : الماء ماؤهم وقد أجروه ، ففيم يدفعون المال ؟ هذا ظلم وجور . والملك لا يستقر على الجور ، فاردد إلى

54) رسالة (براءة اليوسي) : انظر الجيش العرمرم ص 79
55) المصدر السابق ص 81 ــ 82

الناس أموالهم . قال بعض أيمتنا : فانظروا يامعشر المسلمين ، هذا كافر لا يلتفت إلى الدار الآخرة ثم حافظ بالعدل على دنياه فقط ، فكيف بمن يدعي الدين ثم لا يلتفت إلى العدل ولا يحافظ على دين ولا دنيا . قلت وقد قال الحكماء : إن الملك يستقر ويستقيم مع الكفر ولا يستقيم مع الجور ». [56]

كما أن سعي اليوسي إلى إقناع السلطان بأن يبدأ في العدل بنفسه فيما يتعلق بالمال ، فلا يأخذ منه الا ما يسمح له به العلماء ، جعله يثير قضية أبي بكر حين استخلف « وكان قبل ذلك يبيع ويشتري في السوق لعياله ، فلما بويع أخذ ماله الذي للتجارة وذهب إلى السوق على عادته ، حتى رده علماء الصحابة وقالوا : إنك في شغل بأمر الخلافة عن السوق . وفرضوا له ما يكفيه مع عياله ، وجعلوا المال على يد أمين ، فكان هو وغيره فيه سواء ، يأخذ منه بما اقتضته الشريعة لنفسه ولغيره ، وهكذا سيرة الخلفاء الراشدين من بعده »[57]

لذلك ، فهو يطلب من السلطان أن يتخذ القدوة من هؤلاء الخلفاء . وليس من ذوى الأهواء والشهوات والنزوات ، كما يطلب منه في سؤاله ومشورته ألا يتوجه إلا للعلماء العاملين الثقات الذين يتصرفون بصدق وتقوى وشجاعة ، ويزيد فيذكر له منهم بعض الأسماء : « فعلى سيدنا أن يقتدي بهؤلاء الفضلاء ولا يقتدى بأهل الأهواء ، ويسأل من معه من الفقهاء الثقات ، كسيدي محمد بن الحسن وسيدي أحمد بن سعيد وغيرهما من العلماء العاملين الذين يتقون ولا يخافون في الله لومة لائم ، فما أمروه به مما ذكرناه ومما لم نذكره فعله ، وما نهوه عنه انتهى »[58]

56) المحاضرات ص 88
57) رسالة براءة اليوسي (الجيش ص 82)
58) نفس المصدر

على أن مخاطبة اليوسي للمولى اسماعيل لم تكن قائمة فقط على كلام تنظيري مجرد ، يستعين في تأكيده بنماذج من التاريخ ؛ ولكنه كان ينطلق كذلك من الواقع العفن المنهار ، ومن الممارسات التعسفية الخاطئة التي يعاني منها الوطن والمواطنون . يكشفها للسلطان وينبهه إلى عواقبها وإلى وجوب تصحيحها .

وفي رسالة اليوسي البرائية طرح جيد وصريح لفساد الأمور ، ورأيه في أسباب هذا الفساد ، وما يتحمل فيه السلطان من مسؤولية ، وما لبعض أفراد حاشيته من دور في ذلك يتمثل في إخفاء الحقائق عنه وتزيين الوقت له .

ويبدأ هذا الطرح بإبراز ثلاثة حقوق رئيسية عليه ، وهي :

« **الأول** : جمع المال من حق وتفريقه في حق ؛ **الثاني** : إقامة الجهاد لاعلاء كلمة الله ، وفي معناه تعمير الثغور بما تحتاج إليه من عدد وعدة ؛ **الثالث** : الانتصاف من الظالم للمظلوم ، وفي معناه كف يد عادية عليهم منهم ومن غيرهم . وهذه الثلاثة كلها قد اختلت في دولة سيدنا ، فوجب علينا تنبيهه ليلا يعتذر بعدم الاطلاع أو الغفلة »[59]

ثم يأخذ اليوسي في تفصيل القول ، محللاً كل جانب من هذه الجوانب الثلاثة ، فيبدأ بجمع المال من كافة المواطنين بعدل ورفق وأنصاف ، وانفاقه في المصالح العامة ، والتوزيع منه على العلماء والمجاهدين ، أو من عبر عنهم بالخاصة . وفي ذلك يقول :

« أما الأمر الأول ... فلينظر سيدنا ، فإن جباة مملكته قد جروا ذيول الظلم على الرعية ، فأكلوا اللحم وشربوا الدم وامتشوا العظم وامتصوا

59) المصدر السابق ص 79

المخ ، ولم يتركوا للناس دينا ولا دنيا . أما الدنيا فقد أخذوها ، وأما الدين فقد فتنوهم عنه ، وهذا شئ شهدناه لا شئ ظنناه . ثم إن ارباب الحقوق قد ضاعوا ولم تصل إليهم حقوقهم ، فعلى السلطان أن يتفقد الجباة ويكف أيديهم عن الظلم ، ولا يغتر بكل من يزين له الوقت ، فإن كثيراً من الدائرين به طلاب الدنيا لا يتقون الله تعالى ولا يتحفظون من المداهنة والنفاق والكذب ، وفي أفضل منهم قال جد أمير المؤمنين مولانا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : المغرور من غررتموه ؛ وأن يتفقد المصالح ويبسط يد الفضل على خواص الناس من أهل الفضل والدين والخير ليكتسب محبتهم وثناءهم ونصرهم ، كما قيل :

أفادتكم النعماء مني ثلاثة　　يدي ولساني والضمير المحجبا

وقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها ، ولا يهملهم فيتمنوا غيره ويتطلبوا دولة أخرى ، كما قيل :

إذا لم يكن للمرء في دولة امرئ　　نصيب ولاحظ تمني زوالها
وماذاك من بغض لها غير أنه　　يريد سواها فهو يهوى زوالها

وليعلم سيدنا أن السلطان إذا أخذ أموال الرعية العامة ونشرها في الخاصة وشيد بها المصالح ، فالعامة يذعنون ويعلمون أنه سلطان وتطيب قلوبهم بما يرون من انفاق أموالهم في مصالحهم ، وإلا فالعكس . وأيضا السلطان متعرض للسهام الراشقة من دعوات المظلومين من الرعية ، فإذا أحسن إلى الخاصة دعوا له بالخير والسلامة والبقاء فيقابل دعاء بدعاء » (60)

وينتقل بعد ذلك إلى حماية الثغور وما آلت إليه بسبب تجريد المجاهدين

---

60) نفسه ص 79 — 80

من السلاح وإرهاقهم بالضرائب والتكاليف ، وبسبب سوء اختيار الولاة على تلك الثغور ، فيقول :

« وأما الأمر الثاني فقد ضاع أيضا ، وذلك أنه لم يتأت في الوقت إلا عمارة الثغور ، وسيدنا قد غفل عنها ، فقد ضعفت اليوم غاية . وقد حضرت بمدينة تطوان أيام مولانا الرشيد رحمه الله تعالى إذا سمعوا الصريخ تهتز الأرض خيلا ورماة ؛ وقد بلغني اليوم أنهم سمعوا صريخا من جانب البحر ذات يوم ، فخرجوا يسعون على أرجلهم بأيديهم العصي والمقاليع . وهذا وهن في الدين وعزر على المسلمين . وإنما جاءهم الضعف من المغارم الثقيلة وتكليفهم الحركات وإعطاء العدة كسائر الناس ؛ فعلى سيدنا أن يتفقد السواحل كلها من القليعة إلى ماسة ، ويحرضهم على الجهاد والحراسة بعد أن يحسن إليهم ويعفيهم مما يكلف به غيرهم ، ويترك لهم خيلهم وعدتهم ويزيدهم ما يحتاجون إليه ؛ فهم حماة بيضة الإسلام ؛ ويتحرى فيمن يوليه تلك النواحي أن يكون أشد الناس رغبة في الجهاد ونجدة في المضايق وغيرة على الإسلام وأهله ، ولا يولى منها من همته ملء بطنه والاتكاء على أريكته »[61]

ويصل في الختام إلى النقطة الثالثة المتعلقة بظلم العمال وأعوانهم للمواطنين ، فيقول :

« وأما الأمر الثالث ، فقد اختل أيضاً ، لأن المنتصبين للانتصاف بين الناس ، وهم العمال في البلدان وخدامهم هم المشتغلون بظلم الناس ، فكيف يزيل الظلم من يفعله ؟ ومن ذهب يشتكي سبقوه إلى الباب فزادوا عليه فلا يقدر أحد أن يشتكي »[62]

---

61) نفسه ص 80 — 81
62) نفسه

واليوسي في شرحه أسباب فساد الأمور للسلطان يحثه على سماع النصح والعمل به ، مبرئاً ذمته بعد أن قام بالتبليغ : « فإن تنبه وفعل فاز ، وفي ذلك صلاح الوقت وصلاح أهله وسبوغ النعمة وشمول الرحمة ، وإلا فقد أدينا الذي علينا ».[63] بل إنه يمزج النصح بالتحذير والتخويف ، على حد قوله : « فليتق الله سيدنا ، وليتق دعوة المظلوم ، فليس بينها وبين الله حجاب ، وليجتهد في العدل ، فإنه قوام الملك وصلاح الدين والدنيا »[64]

ومع هذا ، فقد كان اليوسي حكيما في مخاطبة السلطان وتنبيهه ، إذ كان باستمرار يشيد بقابليته لسماع النصح والانصياع للحق : فقد « ...حمدنا الله تعالى إذ كنا في دولة سلطان هاشمي علوي فاطمي يستمع الحق ويطلبه ولا يأنف عنه ، ولا يستفزه كبرياء ولا أشر ولا بطر »[65]. « وكنا كثيراً ما نرى من سيدنا التشوف إلى الموعظة والنصح والرغبة في استفتاح أبواب الربح والنجح »[66]

والحقيقة أنه على الرغم من أن اليوسي كان في رسائله للسلطان يضطر إلى شيئ من العنف في التعبير والصراحة في الرأي ، فإنه كان يجعله فوق كل الاعتبارات ، ونعتقد أنه ما كان لموقف —كموقف اليوسي — يتسم بالثورية الإيجابية ، أن يتعدى نطاق النقد والتوجيه والتنبيه في مواجهة حاكم ذي سطوة وقوة كالمولى اسماعيل ، إلا أن يتحول الموقف إلى تهريج أو عشوائية أو انتحار.

---

63) نفس المصدر ص 79

64) نفس المصدر ص 81

65) رسالة ندب الملوك إلى العدل ص 228

66) رسالة براءة اليوسي (انظر الجيش ص 78 — 79)

خاتمة

اتضح لنا لاشك من خلال المباحث السابقة ، أن اليوسي كان يسير في خط ريادي تجديدي ، سواء في تفكيره أو سلوكه أو إنتاجه ؛ وأنه كان بذلك صاحب عبقرية لا تنازع ؛ وأن هذه العبقرية لم تنبثق عنده من مجرد التأمل والخيال ، أي من قوة نظرية تجريدية لم تتبلور في الملموس والمحسوس ، ولكنها مزجت بين الفكر والممارسة ، انطلاقاً من الواقع والاحتكاك به في عمل مستمر لتحريكه والتطلع إلى تصحيحه والنظر من خلاله إلى المستقبل وإلى المصير المتوقع والمترقب .

وقد عبر اليوسي عن هذه العبقرية ، ليس بلسان إنِّي مغرق في الفردية ، كما قد يبدو في الظاهر ، ولكنه عبر بإنية جمعية ، إن لم أقل إن انصهاره الجماهيري — فكراً وسلوكاً — جعل ذاتيته الشخصية — على وعيه بها وعلى مافيها من خصوصيات مميزة — تذوب في ذاتية الجماعة أو تذيبها فيها على الأصح .

ومن ثم ، فإنه كان يتخذ مواقف وآراء إزاء قضايا ومشاكل وأزمات ، بعضها ثابت وبعضها الآخر طارئ . وقد كانت تلك المواقف والآراء تتسم حيناً بالمرونة والمطاوعة ، وتتسم أحياناً أخرى بالوقوف والصلابة ؛ ولكنها في جميع الأحوال ناتجة عند اليوسي عن إدراك نفسي وحدسي ، فضلاً عن الاقتناع الفكري الموضوعي .

وإذا كانت قوة هذه المواقف والآراء تحدد بشكل تلقائي وواضح مدى عبقرية اليوسي في ملامحها الفردية ، فإنها في نفس الآن ، تكشف —

نتيجة عوامل كثيرة ذكرناها — سر ثباته عندها وسر تعبيره عنها بشجاعة وجرأة ، وفي إلحاح على الهدف وسعي إليه ، بعيداً عن أي ميل للمساومة أو التنازل ، وتغلباً على جميع الصعوبات والعقبات ، وتجاوزاً لكل الاحتمالات والتوقعات ، مهما كانت عواقبها ونتائجها عليه ، وقد عاني من ذلك وتحمل الكثير.

وإن تلك المواقف والآراء لتعبر عن تجربة اليوسي وخبرته بالحياة والمجتمع ، وفهمه لهما وتجاوبه معهما واندماجه فيهما بانسجام يجعلنا نستطيع النظر إليه من خلالهما وإليهما من خلاله ؛ أقصد من حيث الجانب المتحرك في الحياة والمجتمع ، المتطلع إلى التطوير وإلى التغيير ، وليس إليهما في حال الثبوت والركود وحال المطاوعة لمسيرة المصير المفروض.

وهذه الحقيقة هي التي جعلته يتأثر بعصره ويؤثر فيه كذلك ، من حيث أنه يكشف عن بعض المخبآت فيه ، ويؤشر على جملة من تناقضاته ، ويرهص بصيغ جديدة لإعادة تشكيل بعض البنيات المهترئة فيه. وهو لا يفكر في هذا التكوين الجديد نسجاً على منوال أو نموذج خياليين ، ولكن تحفزاً من الواقع ومعاناته فيه.

وقد كان اليوسي ينطلق في كل ذلك من مكوناته الفطرية والاجتماعية ، وحوافزه النفسية والثقافية ، كما ينطلق من إدراكه لمسؤولية المثقف وفعاليته في المجتمع ، بكل ما يغذى هذا الإدراك من عوامل يفرزها العالم الخارجي ويلقي بها إليه ؛ وعليه هو أن يطرحها ليتخذ منها مواقف أو يخرج فيها برأي ، دون أن يحيد عن ولائه للحق ، إن لم يكن للحق المطلق ، فللحق العام كما يراه ويومن به ، ومع مراعاة ماهو ثابت وساكن في طبيعة الكون والبشر ، وماهو متبدل ومتحول في نوع رؤية الإنسان وشكل تفكيره وأسلوب عمله ، حسبما تقتضيه معطيات كل زمان ومكان.

القسم الثاني

بيوببليوغرافيا اليوسي
أو
سيرتـه الببليوغرافية

وضعت في هذه السيرة البيليوغرافية قوائم بإنتاج اليوسي في جميع ألوانه وفنونه، وبالمؤلفات التي ترجمت له أو تعرضت له.

وقد حاولت أن تكون هذه القوائم مستكملة ومستوفاة بقدر المستطاع. وهي — على ما فيها من نقص — تضيف الكثير من الجديد إلى كل ما سبقها في هذا المضمار.

أولا : إنتاج اليوسي

قسمت هذه الإنتاج إلى نوعين، ورتبته في كل نوع حسب الموضوعات[1]

أولا : كتب اليوسي وتقاييده وأشعاره ومنظوماته

1 ـــ أدب (بمفهومه الواسع)

1 ـــ الديوان (جمعه ولده بعد وفاة والده)

طبع على الحجر بفاس، وتوجد منه ثلاث نسخ مخطوطة في خزانة الرباط العامة :

الأولى ضمن مجموع عدد 32 ج

الثانية رقمها ج 157

الثالثة تحمل رقم ك 491.

كما توجد منه ثلاث نسخ أخرى في المكتبة الملكية بالرباط تحمل الأرقام الآتية : 312 ـــ 2339 ـــ 6549.

كذلك توجد مخطوطات للديوان بباريز والجزائر؛ وفي مكتبتي الخاصة كراريس منه عليها طرر.

وذكر الأستاذ عبد الله جنون (النبوغ ج 1 ص 286) أنه وضع منتخباً من هذا الديوان، ولكنه لم يطبع على حد ما كتب في

---

1) تنظر في عرض هذا الإنتاج بتفاوت مصادر ترجمة اليوسي المذكورة في القسم الثاني من هذه السيرة البيليوغرافية، وخاصة منها كتاب الأستاذ جاك بيرك عن اليوسي، وبحث د. محمد حجي عن الزاوية الدلائية. والرسالة التي أنجزت الأستاذة فاطمة خليل تحت إشرافي عن رسائل اليوسي

(خل وبقل ص 273) وقد قام الباحث التونسي عبد الحي محمد المنيف بتحقيق الديوان ، ونال بهذا التحقيق دبلوم الدراسات العليا (دكتوراه السلك الثالث) من كلية آداب جامعة الجزائر ، كما أحرز به جائزة المغرب سنة 1969 ، ولكني لا أدري إذا كان طبع.

2 — القصيدة الدالية في مدح الشيخ محمد بن ناصر ، ومطلعها :

عرج بمنعرج الهضاب الورد
بين اللصاب وبين ذات الأرمد

عارض بها دالية البوصيري في مدح الشاذلي والمرسي.
وردت في ديوان اليوسي المطبوع ، وفي كثير من مصادر ترجمته وغيرها. وطبعت مع شرحها ، وهو لليوسي أيضا ، في مصر سنة 1291 (الاسكندرية) و 1329 (القاهرة). وتوجد منها نسخ مخطوطة كثيرة في الرباط وفاس والقاهرة وباريز ، نكتفي منها بنسخة خزانة الرباط العامة رقم 79 د ونسخة المكتبة الملكية (الزيدانية) رقم 3633 (ضمن مجموع غير مرقم)

3 — نيل الأماني في شرح التهاني (شرح القصيدة الدالية في مدح الشيخ محمد بن ناصر).
طبع بمطبعة الكوكب الشرقي في الاسكندرية سنة 1291 وبمطبعة التقدم في القاهرة سنة 1329.
وتوجد منه نسخ مخطوطة بالرباط والجزائر والقاهرة وباريز ، نذكر منها ثلاث نسخ في خزانة الرباط العامة مسجلة في حرف د ، وأرقامها 712 — 1292 — 1604.

4 — القصيدة الرائية في رثاء الزاوية الدلائية ، وأولها :

أكلف جفن العين أن ينثر الدرا
فيأبي ويعتاض العقيق بها حمرا

وهي تشتمل على اثنين وستين ومائة بيت
وردت في ديوان اليوسي المطبوع ، وفي بعض مصادر ترجمة اليوسي وغيرها . وتوجد منها نسخ مخطوطة . نكتفي بالإشارة منها إلى نسخة خزانة الرباط العامة الواردة ضمن مجموع 163 د (من 98 إلى 103)
كتب عليها محمد بن أحمد الشاذلي شرحاً أتمه محمد البكري (وهو مخطوط بخزانة الرباط العامة في نسختين : الأولى ك 248 ، والثانية 2295 د ضمن مجموع ، ابتداء من ص ، 262). كذلك كتب عليها أبو عبد الله محمد بن المهدي بن سودة شرحاً في ستة أسفار ذكر صاحب دليل المؤرخ (ج 2 ص 426 ط دار الكتاب) أنها توجد عند أحفاده.

5 — شعر في مدح خير البرية ، أوله القصيدة المشهورة :

جد في سيرها فلست تلام
هذه طيبة وهذا المقام

يوجد مخطوطاً في خزانة الرباط العامة ضمن مجموع 774د وتوجد القصيدة في « ديوان قصائد وموشحات في المديح النبوي » (مخطوطة خاصة للكاتب ص 85)

6 — قصيدة طويلة أولها :

هذا مقام السر والعرفان
قدما مقام الأمن والإيمان

وردت في ديوان اليوسي المطبوع وفي « هداية الملك العلام » للهشتوكي (مخطوط خزانة الرباط العامة ق 190 من 307 إلى 310)

7 — أشعار مختلفة

وردت في ديوان اليوسي ومصادر ترجمته وكذلك في الكتب الآتية :

أ) مجموع بالمكتبة الملكية 2850 (غير مرقم)
ب) مجموع آخر بنفس المكتبة (الزيدانية) 3628 (غير مرقم)
ج) مجموع بمكتبة تطوان العامة 621
د) مجموع آخر بنفس المكتبة 518
هـ) كناش بمكتبة تطوان كذلك 327 الورقة 62 — 149
و) ديوان قصائد وموشحات في المديح النبوي ص 85 — 87 (مخطوطة الكاتب الخاصة)
ز) كناشة عبد السلام الصقلي ص 34 — 71 — 128 — 206 — 217 (المكتبة الخاصة للكاتب)
ح) النبوغ المغربي للأستاذ عبد الله جنون (ط دار الكتاب) ج 2 (مختارات نثرية) ص 307 و ج 3 (مختارات شعرية) ص 37 — 80 — 133 — 159 — 230 — 256 — 277)

8 — الرحلة (سجلها ولده حين صحب والده إلى الحج)

مخطوطة بالمكتبة الملكية رقم 2343 وبخزانة الرباط العامة رقم ك 1418 (معها الفهرسة)

9 — زهر الأكم في الأمثال والحكم

يوجد مخطوطاً في المكتبات الآتية :

ا) زانة الرباط العامة 71د — 191د — 1001د —

1159د — ج 596 — ج 844 — ق 388 — ك 1679
ب) مكتبة القرويين بدون رقم
ج) المكتبة الوطنية بالجزائر 184280.
د) المكتبة الوطنية بباريز 52304
هـ) دار الكتب المصرية 14097 — 14842 (أدب)
وسينشر قريباً بعناية الدكتور محمد حجي والدكتور محمد الأخضر.

10 — المحاضرات

طبع على الحجر بفاس سنة 1327 ، وتوجد منه نسخة مخطوطة فريدة بخزانة العطارين بتونس انتسخت بعد وفاة المؤلف بأربع سنوات ، وتوجد نسخ أخرى مخطوطة في الرباط والقاهرة وباريز ، منها نسخة خزانة الرباط العامة كـ 2329 . وقد أعيد طبع المحاضرات ضمن منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر (سلسلة الأدب 1) بعناية الدكتور محمد حجي (الرباط 1396 — 1976)

توجد نقول من المحاضرات كثيرة في مصادر ترجمة اليوسي وغيرها من المجاميع والكناشات نذكر منها مجموع مكتبة تطوان العامة رقم 850م

وتجدر الإشارة إلى أن جريدة (العلم) نشرت خلال شهر رمضان 1399 (يوليوز — غشت 1979) فصولاً مختارة من كتاب « المحاضرات » بعنوان : « جولة مع الحسن اليوسي في كتابه المحاضرات »

11 — الفهرست (لم يكملها المؤلف)

توجد منها نسختان مخطوطتان في المكتبة الملكية بالرباط 1138 و 5470 ، كما توجد نسخ متعددة في خزانة الرباط العامة

أرقامها : ك 1418 (مع الرحلة) — ك 1234 ضمن مجموع (من 103 إلى 147) — ك 1301 ضمن مجموع (من ص 134 إلى 164) — 1838 د ضمن مجموع (من ص 77 إلى 170)

12 — شرح تلخيص المفتاح للقزويني (لم يكمله)
ذكره الكردودي في الدر المنضد 1584 د الورقة 218و

13 — القانون
طبع على الحجر بفاس سنة 1310 و 1315
توجد منه نسخ مخطوطة في المكتبات الآتية :
ا) المكتبة الملكية بالرباط رقم 6643
ب) خزانة الرباط العامة أرقام ق 931 — ج 1304 — 2382د — 2359د
ج) خزانة تمكروت رقم 1923
د) ظاهرية دمشق 7934
هـ) المكتبة الوطنية بباريز رقم 5291

14 — الكناشة العلمية (تشتمل على فوائد في التفسير والحديث والتصوف والتراجم) مخطوطة بالمكتبة الملكية رقم 5995

2 — تصوف

15 — تأليف في الهيللة
ذكره القادري في نشر المثاني ، ومحمد الفاطمي الصقلي في تقديم كتاب « القانون » لليوسي ص 1 وقال عنه انه تأليف كبير. وذهب د . محمد حجي في « الزاوية الدلائية » ص 102 (هـ) إلى أن كتاب الهيللة هذا هو « مشرب العام والخاص »

16 — تذكرة الغافل

ذكره البغدادي في إيضاح المكنون (م 1 ص 275) وهداية العارفين (م 1 ص 296).

17 — الدر المصون

ذكره البغدادي في إيضاح المكنون (م 1 ص 448) وهداية العارفين (م 1 ص 296).

18 — شرح قصيدة « عقد جواهر المعاني في مناقب الغوث عبد القادر الجيلاني » لأحمد بن المختار بنخدة الراشدي ، وأولها :

أقول لمن أعيي الطبيب علاجه
وقد مل من شرب الدواء لعلة
ألا لذ بمحيي الدين ياطالب المنى
وعول عليه في الأمور المهمة

ذكره عباس بن ابراهيم في الأعلام (ج 3 ص 161 ط ملكية) نقلاً عن « تحفة الزائر ».

3 — قراءة وتفسير

19 — أرجوزة في قراءة القرآن

ذكرها محمد بن علي الحسني المغالي في دوحة البستان (مخطوطة خزانة الرباط العامة 390 د ص 113)

20 — فتح الملك الوهاب فيما استشكله بعض الأصحاب من السنة والكتاب أو الفتوحات السوسية المشتملة على الأنوار القدسية يوجد مخطوطاً في خزانة الرباط العامة ج 618 (ضمن مجموع من ص 1 إلى 129)

21 — نعيم الجنان في معنى قوله تعالى ويطوف عليهم ولدان
ذكره صاحب الفتح الوهبي (مخطوط بخزانة الرباط العامة ك
2312 ص 507)

4 — توحيد

22 — تأليف في الهيئة
ذكره الكردودي في الدر المنضد (مخطوطة خزانة الرباط العامة
1584 د الورقة 218 و) كما ذكره بيرك الذي جعله في التنجيم .
وراجعه د . محمد حجي الذي ذهب في الزاوية الدلائية (ص
102هـ) إلى أنه هو كتاب الهيللة وإنما اختلطت الكلمة على
بيرك فقرأها هيئة.

23 — حاشية على شرح كبرى السنوسي
مخطوطة في :
ا) خزانة الرباط العامة ك 2645 — 1771د
ب) خزانة القرويين بفاس 40 — 40/837 — 732
ج) المكتبة الحمزاوية 69
د) دار الكتب المصرية 222 — 266 — 473 — 562 —
1117 (كلام)

24 — شرح صغرى السنوسي
ذكره صاحب المنح البادية (انظر المصادر) ومحمد الفاطمي
الصقلي في تقديم كتاب القانون ص 1

25 — كتاب أخذ الجنة عن أشكال نعيم أهل الجنة
يوجد مخطوطا بالمكتبة الملكية 6602 وخزانة الرباط العامة
3373د ضمن مجموع من ص 414 إلى 428.

26) مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص أو منهج الخلاص من كلمة الإخلاص طبع على الحجر بفاس سنة 1327 وتوجد منه نسخة في تمكروت (آخر مجموع رقم 1928) وثلاث نسخ في خزانة الرباط العامة : ك 35 — ك 2418 — ق 1013 في مجموع غير مرقم

5 — فقه وأصول

27 — بحث فيما يجب على المكلف من أصول الدين وفروعه مخطوط بخزانة الرباط العامة ضمن مجموع رقمه جـ 612 من ص 21 إلى 27

28 — تقييد شرح قول خليل : «وخصصت نية الحالف وقيدت ...» توجد منه نسخ مخطوطة متعددة ، نذكر من بينها نسخة المكتبة الملكية 6726 ونسختين بخزانة الرباط العامة رقمها ق 302 (ضمن مجموع من ص 294 إلى 305) و 2223 د (ضمن مجموع كذلك)

29 — قواعد الإسلام من مضمون حديث النبي عليه السلام مخطوط في مجموع بالخزانة العامة ج 612 من الورقة 27و إلى 42و.

30 — منظومة فقهية (أرجوزة) على نسق متن ابن عاشر مخطوطة في مجموع بالخزانة العامة 1164د من الورقة 124و إلى 131ظ

31 — الكوكب الساطع بشرح جمع الجوامع لتاج الدين السبكي تحدثت عنه كثير من المصادر التي ترجمت لليوسي وذكرت أنه وصل فيه إلى (إذا الفجائية)

توجدنسخ منه في بعض المكتبات الخاصة كمكتبة الأستاذ حماد الصقلي التي رجعت إليها السيدة فاطمة خليل.

6 — منطق

32 — شرح أم المنطق أو مزامر المنطق للعزيز بن يوسف الفاسي
ذكره صاحب المنح البادية (انظر المصادر وصاحب الكناشة التي في ملك الكاتب (مجهول ص 73) وذكره كذلك الأزهري في اليواقيت الثمينة ص 133

33 — شرح السلم للأخضري
ذكره الأستاذ جنون في النبوغ (ج 1 ص 303)

34 — شرح على الطالع المنتشر (لم يكمله)
ذكره صاحب المنح البادية (انظر المصادر) وصاحب الكناشة التي في ملك الكاتب (ص 73 مجهول) والصقلي في تقديمه لكتاب القانون ص 1

35 — القول الفصل في الفرق بين الخاصة والفصل أو الفرق ما بين الذاتي والعرضي
يوجد مخطوطاً في :
ا) المكتبة الملكية 1314
ب) خزانة الرباط العامة 271د — 2775 د — 2881د — 1072 د (من 196 إلى 223)
ج) مكتبة تمكروت — مجموع رقم 1928 (أوله)
وضع عليه عمر بن عبد الله الفاسي حاشية بعنوان «إحراز الفضل بتحرير مسائل القول الفصل» (انظر عناية أولى المجد ص 64)

36 — النسبة الحكمية بين الطرفين الموضوع والمحمول
مخطوط بخزانة الرباط العامة 2143د (من ص 193 إلى 195) وتوجد منه نسخة في المكتبة السليمانية باسطنبول رقم 2649/2

37 — نفائس الدرر على شرح المختصر (للسنوسي)
توجد مخطوطة في المكتبات الآتية :
ا) خزانة الرباط العامة كـ 1751 — 451 د — 2141د — 2143د — (ضمن مجموع) 2225د — 2249د — 2289د — 623د 1072د (من ص 52 إلى 195)
ب) مكتبة القرويين دون رقم
ج) خزانة تمكروت : آخر مجموع رقم 1929 — 2162 — 2221 — 2571.
د) المكتبة السليمانية باسطنبول 2696
هـ) المكتبة الوطنية في الجزائر 2 و 1382
و) المكتبة الوطنية بباريز 2400 (من 104 إلى 251)

ثانيا = رسائل اليوسي وفتاويه[1]

1 — دفاع عن النفس

38 — الرسالة الكبرى ، وتعرف باسم « جواب الكتاب » ، وفيها رد على السلطان اسماعيل الذي كان كتب يعيب عليه موقف الهروب والانزواء.

---

1) جمعت السيدة فاطمة خليل رسائل اليوسي وأنجزت بإشرافي تحت هذا العنوان رسالة جامعية أحرزت بها على دبلوم الدراسات العليا من كلية آداب جامعة محمد بن عبد الله بفاس ، بعد المناقشة العلنية التي تمت يوم 8 أبريل 78 . وهي الآن قيد الطبع

توجد مخطوطة في :
ا) المكتبة الملكية بالرباط 2998 — 2850 (آخر مجموع غير مرقم) — 1558.
ب) خزانة الرباط العامة ج 849 (من الورقة 1 إلى 91) 1348 د — 2753 د — 3390د

2 — سياسة

39 — رسالة في نازلة العرائش
تتعلق بالأمان الذي أعطى لنصارى هذا الثغر عند فتحه .
توجد مخطوطة في مجموع بالخزانة العامة ك 1234 (من ص 188 إلى 194)

40 — رسالة ندب الملوك للعدل
ناقش فيها مشكل الخلافة الإسلامية وما آلت إليه ،
توجد مخطوطة في مجموع بخزانة الرباط العامة 364 د (من 221 إلى 228)

41 — الرسالة الصغرى لاسماعيل ، وتعرف باسم « براءة اليوسي »
تعرض فيها لقضايا ثلاثة هي : الجباية والجهاد والعدل .
وردت في الجيش لأكنسوس (ص 78 — 82 ط حجرية)
وفي الاستقصا (ج 7 ص 82 — 86 ط الدار البيضاء) كما وردت في نشر المثاني (الكبير : مخطوط بخزانة الرباط العامة ك 2253 (من الورقة 28 و إلى 29 ظ)
وتوجد مخطوطة في المكتبات الآتية :
ا) المكتبة الملكية 5356 — 7150 — 7154 — 9249 — 7704 (من ص 23 إلى 27)

ب) خزانة الرباط 163د ــ 1348د (من 13 إلى 36)
6111د (من 1 إلى 4)

42 ــ رسالة جوابية إلى المولى اسماعيل حين حصاره للعرائش أواخر الحجة متمم المائة بعد الألف.
توجد مخطوطة في نسخة بمكتبة المرحوم العابد الفاسي وأخرى عند السيدة فاطمة خليل.

3 ــ فقه

43 ــ رسالة (فتوى) في قضاء الصلوات المنسية
مخطوطة بالخزانة العامة ق 302 (من ص 247 إلى 248)

44 ــ رسالة (فتوى) حول إخراج الزكاة في البادية
نفس المخطوطة (من ص 277 إلى 278)

45 ــ رسالة (فتوى) حول إقامة الجمعة في تامسنا
نفس المخطوطة (من ص 253 إلى 254)

46 ــ رسالة (فتوى) حول إقامة الجمعة في حصن فشتاله
نفس المخطوطة (من ص 250 إلى 253)

47 ــ رسالة (فتوى) حول إقامة الجمعة في المدشر
نفس المخطوطة (من ص 326 إلى 328)

48 ــ رسالة (فتوى) أجاب فيها على استفسار طرحه المولى اسماعيل في موضوع نشر الحرمة بين الأمة وابنتها
نفس المخطوطة (من ص 211 إلى 215). وتوجد كذلك في المنزع اللطيف (مخطوط الخزانة العامة) ج 595 (من ص 84 إلى 87) وفي نوازل الشريف علي بن عيسى العلمي الحسني

(مخطوط الخزانة العامة) كـ 832 (من ص 13 إلى 17) وفي مجموع للسيدة خليل (من ص 161 إلى 165)

49 — رسالة (فتوى) أجاب فيها على استفسار المولى اسماعيل في موضوع الأمة التي أعطيت بدون شراء
توجد في المنزع اللطيف (مخطوط الخزانة العامة) ج 595 (من ص 88 إلى 89)

50 — رسالة إلى محمد الصالح بن المعطي حول الحلف والاستبراء.
مخطوطة الخزانة العامة ق 302 (ص 276 — 277)

51 — رسالة (فتوى) أجاب فيها على استفسار من مكناس يتعلق بحكم الذكر في المسجد
مخطوطة الخزانة العامة ق 302 (من ص 278 إلى 286)
ومخطوطة للسيدة خليل (من ص 10 إلى 14)

52 — رسالة أجاب فيها على نقل أحباس مسجد قديم إلى آخر جديد كما أجاب فيها على خلق الخيل وعلى ملوك الدنيا
مخطوطة خزانة الرباط ق 302 (من ص 209 إلى 211)

53 — رسالة الى السيد المرجاني بن المواق في شروط الرجل العدل
مخطوطة خزانة الرباط ق 302 (من ص 270 إلى 272)

54 — رسالة (فتوى) في صلاحية الرجل الفاجر
نفس المخطوطة (ص 255 — 256)

55 — رسالة رد فيها على استفسار للمولى إسماعيل حول المغنم الذي أعطى الخليفة عثمان لمروان بن الحكم في افريقية
مخطوطة خزانة الرباط ج 595 (ص 87 — 88)

56 — رسالة حول الدعاء والتصلية والأذان وغيره
مخطوطة خزانة الرباط ق 302 (ص 273 — 274)

57 — رسالة حول الذكر بعد الصلاة
نفس المخطوطة (ص 340 — 341)

58 — رسالة (فتوى) في عادة وصل الشعر
مجموع السيدة خليل ص 155

4 — توحيد

59 — رسالة .ناقش فيها قضية وجوب الشهادتين في الإسلام (تناول فيها كذلك موضوعاً فقهياً يتعلق بصرف الزكاة للعلماء)
مخطوطة بخزانة الرباط ق 302 (من ص 330 إلى 332)
— 1241د (من الورقة 8 و إلى 9 ظ)

60 — رسالة العقيدة الصغرى
شرح فيها العقائد العامة وناقش قضية قدم القرآن وحداثته .
مخطوطة خزانة الرباط ق 302 (من ص 287 إلى 294)

61 — رسالة في مسألة علم النبي عليه السلام
عقب فيها على « ملاك الطلب في جواب أستاذ حلب »
لعبد الملك التجموعتي (وهو وارد في مخطوطتي خزانة الرباط العامة ح 115 ص 348 — ك 1284 ص 2 — 5)
توجد الرسالة مخطوطة في خزانة الرباط ح 115 ص 362

62 — رسالة أجاب فيها بعض الفاسيين حول استحالة عروض الكفر للأنبياء .
مخطوطة بخزانة الرباط العامة ق 302 (من ص 236 إلى 244)

63 — رسالة أجاب فيها على ماهية ذات الله
نفس المخطوطة (من ص 234 إلى 236)

64 — رسالة جوابية على سؤال يتعلق بذات الله هل هي حسية أو معنوية .
نفس المخطوطة (من ص 199 إلى 202)

65 — رسالة في إبطال مبدأ التسلسل لأبي العباس أحمد بن إبراهيم العطار نفس المخطوطة (من ص 313 إلى 324) وكذلك مخطوطة خزانة الرباط 1755د (من ص 286 إلى 293)

66 — رسالة في قضايا عقدية
مخطوطة خزانة الرباط ق 302 (من ص 232 إلى 234)

67 — رسالة في تقريظ « اللمعة الخطيرة والنبذة اليسيرة في مسألة خلق أفعال العباد الشهيرة » لمحمد المهدي بن أحمد الفاسي.
مخطوطة خزانة الرباط ك 1234 (ص 100 — 101)

68 — رسالة حول ماهية الأزمنة وتعاطى الأسباب
مخطوطة خزانة الرباط ق 302 (من ص 245 إلى 247)

5 — تصوف

69 — رسالة تتعلق بالهيللة والذكر
مخطوط خزانة الرباط العامة 1241 د الورقة 9 ظ

70 — رسالة حول زيارة الشيخ محمد بن ناصر
وردت في « طلعة المشترى » للناصري ج 1 ص 273 (ط حجرية)

71 — رسالة تضمنت نصائح إلى أبي العباس أحمد بن مسعود البوعمري (معها قصيدة سينية)
مخطوطة بالمكتبة الملكية رقم 7704 (ص 14 — 15)

72 — رسالة إلى أحمد الشيظمي وسيدي مسعود (في آداب السلوك)
مخطوطة خزانة الرباط ق 302 (من ص 256 إلى 259)

73 — رسالة في التوبة والاستغفار وحسن الظن بالله
نفس المخطوطة (ص 286 — 287)

74 — رسالة في السلوك الصوفي
نفس المخطوطة (من ص 216 إلى 219)

75 — رسالة تتعلق بمراحل وصول المريد
نفس المخطوطة (من ص 225 إلى 228)

76 — رسالة تربوية في سلوك الطريق
نفس المخطوطة (من ص 204 إلى 207)

77 — رسالة في استخلاف الشيخ بعد موته
نفس المخطوط (ص 207 — 208)

78 — رسالة تتعلق بدور الشيخ في تربية المريد
نفس المخطوطة (من ص 222 إلى 224)

79 — رسالة إلى محمد الصالح بن المعطي أجابه فيها على مجاهدة النفس
توجد في فهرست العميري (مخطوطة بخزانة الرباط ك 1361 من ص 198 إلى 200) وفي كناشة محمد بن علي الدكالي (مخطوطة خزانة الرباط ج 91 من ص 207 إلى 209)

80 — الرسالة إلى قبيلة المزامز (نصيحة سلوكية)
مخطوطة خزانة الرباط ج 612 الورقة 15

81 — الدلالة الوافية في الرسالة الأسفية ، وهي نصيحة سلوكية لأهل آسفي .
مخطوطة في المكتبة الملكية (7704 من الورقة 4 ظ إلى 6 و)
وفي خزانة الرباط ج 612 (من الورقة 50 إلى 58) — ق 302 (من ص 333 إلى 338)

82 — رسالة في التربية الصوفية ، هي عبارة عن جواب رد فيه على أسئلة تتصل بالسلوك الصوفي
مخطوطة خزانة الرباط ج 612 (من الورقة 49 ظ إلى 52و)

83 — الرسالة إلى أهل بلد كارت ، ضمنها نصائح سلوكية للفقراء
مخطوطة خزانة الرباط 612 (من الورقة 42 ظ إلى 45و)— ق 302 (من ص 341 إلى 347)

84 — الرسالة إلى المقدمين ، موجهة إلى الحاج علي وأبي القاسم بن معمر ، وتتعلق بالزاوية والشيخ.
مخطوطة في خزانة الرباط العامة ق 302 (من ص 259 إلى 270) — ق 950 (من ص 262 إلى 267)— ج 612 (من الورقة 52 إلى 56)— ک 1138 (من ص 32 إلى 39)— 2010د (من ص 41 إلى 51)، وكذلك في خزانة تمكروت 1902 (مجموع)

85 — الوصية

وجهها إلى أبنائه وجميع إخوانه يعرفهم فيها بالسلوك الحق وينبههم إلى بعض الانحرافات التي وقع فيها بعض أبناء

المتصوفة . وفيها يوصي بتحبيس كتبه على أولاده .
توجد مخطوطة في :
ا) المكتبة الملكية رقم 1577
ب) خزانة الرباط العامة ق 950 (من ص 248 إلى 262) — ج 612 (من الورقة 57 إلى 64)
ج) مكتبة تطوان العامة في أول المجموع 485م

86 — النصيحة الغياثية
تناول فيها حقيقة التصوف السني ونقد مظاهر الشعوذة والانحراف المنتشرة.
مخطوطة بالمكتبة الملكية 8936 وخزانة الرباط العامة 1816د (من 432 إلى 475) — ج 612 (من الورقة 1 إلى 15) — ك 1138 (من ص 1 إلى 30) — ق 302 (من ص 349 إلى 368 مبتورة)

87 — رسالة حول الأذكار وتلاوة القرآن
مخطوطة خزانة الرباط 1241د الورقة 9ظ

6 — تفسير

88 — رسالة جول التفاسير وتفسير ابن عطية
مخطوطة خزانة الرباط ق 302 (من ص 371 إلى 373)

89 — رسالة في حكم تفسير القرآن لمن لا يتقن علوم الآلة وتتضمن كذلك حكم السماع واستعمال الآلآت
نفس المخطوطة (من ص 191 إلى 197) وكذلك مخطوطة خزانة الرباط ج 612 (من الورقة 46و إلى 49 ظ)

7 — نحو وبلاغة

90 — رسالة جوابية تتضمن إعراب لو (نظماً)
كما تتضمن ماهية الضوء والظل
مخطوطة خزانة الرباط ق 302 (ص 220 — 221)

91 — رسالة تتضمن أجوبة حول
ا) شخصية علمية أسماء القبائل
ب) علاقة الاسم بالمسمى زيادة ونقصانا
ج) إضافة الاسم إلى اللقب وقضية التعريف والتنكير
مخطوطة السيدة خليل (من ص 157 إلى 159)

92 — رسالة أجاب فيها على سؤال يتعلق بقول البوصيري
الا استلمت الندى من خير مستلم
هل هو بفتح اللام ام كسرها ؟
مخطوطة خزانة الرباط ق 302 (ص 219 — 220)
ومخطوطة السيدة خليل ص 165

93 — رسالة رد فيها على استفسار حول قول الأمة والعلماء بأن المراد لا يدفع الإيراد.
توجد مخطوطة في خزانة الرباط ق 302 (من ص 228 إلى 232) — ك 910 (من ص 247 إلى 250) — 1755 د (من ص 262 إلى 264)
وتوجد كذلك في هداية الملك العلام للهشتوكي (مخطوطة خزانة الرباط ق 190 من ص 80 إلى 86)

8 — أدب

94 — رسالة رد فيها على استفسار حول بيت أبي نواس :

مالي إليك وسيلة إلا الرجا
وجميل ظني ثم إني مسلم

وبيت البوصيري :

شاكي السلاح لهم سما تميزهم
والورد يمتاز بالسما من السلم

مخطوطة خزانة الرباط ق 302 (من ص 197 إلى 199).

9 — الرد على أهل البدع

95 — رسالة في طائفة العكاكزة

وردت في مخطوطة الخزانة العامة بالرباط ك 1224 (من ص 167 إلى 187)، ووردت كذلك في هداية الملك العلام (مخطوطة خزانة الرباط ق 190 ص 84)

96 — رسالة إلى الفقيهين العربي وعبد السلام القادريين والفقيه المهدي الفاسي ، أجابهم حول بدعة ابراهيم الكوراني

وردت في نشر المثاني (الكبير) مخطوط خزانة الرباط العامة ك 2253ج 2 ورقة 23 و

10 — عوائد

97 — رسالة تتعلق ببعض العوائد

مخطوطة خزانة الرباط العامة ق 302 ص 332 — 333

11 — قضية تبرئة صحابيين من النفاق

98 — رسالة رد فيها على عبد الملك التجموعتي في قضية تبرئة الصحابيين سعد بن عبادة وحاطب بن أبي بلتعة من النفاق

وردت في هداية الملك العلام للهشتوكي (مخطوطة خزانة الرباط العامة ق 190 ص 75 — 76)

12 — تعزية

99 — رسالة إلى عبد الرحمن الفاسي وأخيه محمد يعزيهما في والدهما عبد القادر

وردت في نشر المثاني (الكبير) مخطوط خزانة الرباط ك 2253ج 2 الورقة 6 ظ



ثانيا : مصادر ترجمة اليوسي

رتبت هذه المصادر على أسماء المؤلفين وفق حروف المعجم

إبراهيم الإلغي

1 — تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية
ج 2 (في الأدب المغربي والأندلسي) ص 96 — 97
المطبعة المهدية — تطوان 1375 — 1955

أبو العباس بن يعقوب الولالي

2 — مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار
مخطوط خزانة الرباط العامة 342 ق — ص 35

أبو القاسم بن سعيد العميري

3 — فهرست
مخطوطة المكتبة العباسية 3140 ص 29 — 104

أبو القاسم الزياني

4 — البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف
مخطوط خزانة الرباط العامة 1577 د ص 40

5 — تحفة الأعلام
مخطوط خزانة الرباط العامة ك 244 ص 162

6 .ــ الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحراً
ص 55 ــ 61 ــ 100
ت عبد الكريم الفيلالي ــ نشر وزارة الأنباء
مطبعة فضالة ــ غشت 1967

أبو المحاسن (**علال الفاسي**)

7 ــ أبو علي اليوسي
مجلة المغرب الجديد
السنة الأولى 1935 أعداد 4 ــ 5 ــ 7

أحمد بن خالد الناصري

8 ــ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى
ج 7 ص 108 ط دار الكتاب ــ الدار البيضاء 1956

9 ــ طلعة المشتري في النسب الجعفري
ص 186 ــ 273 ط حجرية

أحمد بن عاشر الحافي

10 ــ فهرست
ضمن مجموع مخطوط بخزانة الرباط العامة ك 1421
(من ص 251 إلى 308) ص 257

أحمد بن عبد القادر التستاوتي (جمع تلميذه الحافي)

11 ــ تحفة الناظر وبهجة الخاطر الغض الناضر
مخطوطة خزانة الرباط العامة ك 1669
ص 73 ــ 122 إلى 132 ــ 324 إلى 344 ــ 365

أحمد بن عبد القادر القادري

12 — نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس (رحلة)

مخطوطة خزانة الرباط العامة كـ 1418 الورقة 148 ظ 149 و

أحمد بن عبد الوهاب الغساني الشهير بالوزير

13 — التعريف بالشيخ عبد السلام بن الطيب القادري

مضمن في نشر المثاني (الكبير) لدا ترجمة القادري كـ 2253 ج 2 من الورقة 39 ظ إلى 41و (ذكر اليوسي في 40و) وكان قد نبه إلى هذا التضمين الأستاذ محمد المنوني في مقال له بعنوان « المصادر الدفينة في تاريخ المغرب » منشور في مجلة البحث العلمي عـ 10 س 4 ص 16

أحمد بن محمد بن عجيبة

14 — أزهار البستان في طبقات الأعيان

مخطوط المكتبة بالرباط 3347

ج 1 ص 277 إلى 283

أحمد تسوكي

15 — عرض حول كتاب (المحاضرات)

مجلة دعوة الحق عـ 4 س 18 جمادي الأولى 1397 — مايو 1977 (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية — المغرب)

أحمد زياد

16 — لمحات من تاريخ الحركة الفكرية بالمغرب

(نقل ما كتبه أبو المحاسن في مجلة المغرب الجديد ، متعلقاً بمؤلفات اليوسي ، وقد سبق ذكر هذا المصدر)

ص 33 ط دار الكتاب — الدار البيضاء 1973

أحمد النميشي

17 ـــ تاريخ الشعر والشعراء بفاس (مسامرة)

ص 31 ط فاس ـــ شعبان 1343

أحمد الهشتوكي

18 ـــ قرى العجلان على إجازة الأحبة والإخوان

نقل عنه الكتاني في « فهرس الفهارس » حيث ذكر (ج 2 ص 465) أن الهشتوكي في « قرى العجلان » فصل أخذ اليوسي عن علماء الأقاليم التي جال فيها ، وان لم يذكر ذلك هو في فهرسته . كما ذكر في ترجمة الهشتوكي (فهرس الفهارس ج 2 ص 423) أن له فهرساً سماه : « قرى العجلان على إجازة الأحبة والإخوان » في نحو كراسين ، وصرح أنه وقعت له منه نسخة بخط الحضيكي في كناشته. وقد كنت آمل الوقوف على هذا الفهرس في مكتبة الكتاني المضمومة إلى خزانة الرباط العامة ، ولكني لم أعثر له على أثر ، ولعله ضاع فيما ضاع من هذه المكتبة .

19 ـــ هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام والوقوف بالمشاعر العظام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام.

مخطوطة خزانة الرباط العامة ق 190 ص 52 وأماكن أخرى أورد فيها بعض رسائله (ينظر القسم الخاص برسائل اليوسي وفتاويه من هذه السيرة البيليوغرافية)

إسماعيل باشا البغدادي

20 ـــ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ج 1 ص 275 ـــ 448 ، ج 2 ص 220 ـــ 250 ط الثالثة 1378 (المطبعة الإسلامية ـــ طهران)

21 ـــ هدية العارفين

م 1 ص 296 ط الثالثة 1387 (المطبعة الإسلامية ـــ طهران)

R. BASSET **بـاسـي**

22 — *Recherches bibliographiques sur les sources de la Salwat el - Anfâs.*
(*Actes du XIVé congrès des orientalistes n°* 106 *p* 46 *Alger* 1905).

L. Provençal **بروفنسال**

23 — *Les historiens des chorfa p* 269 *Paris* 1922.

24 — مؤرخو الشرفا (الكتاب السابق)
تعريب عبد القادر الخلادي
ص 189 — مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر
سلسلة التاريخ رقم 5 — الرباط 1397 — 1977

C. Brockelmann **بروكلمان**

25 — *G. AR. LITT*
S 2 *pp* 675 - 676.
Leideu 1938

J. Berque **بيـرك**

26 — *AL - Youssi : Problèmes de la culture marocaine au XVIII siècle - Paris - Mouton et co La haye* 1958.

27 — *L'intérieur du Maghreb (XV - XIX siecle) ch XI pp* 354 - 389 - *éd. Gallimard* 1978.

28 — *Le Maghreb entre deux guerres p* 124 *éd. du seuil Paris* 1962.

H. Perès **بيـريـس**

29 — *Répertoire alphabétique des auteurs publiés à Fès - Bulletin des études arabes n°* 32 - 1947 - *pp* 62 - 70.

د. التهامي الراجي

30 — القول الفصل في تمييز الخاصة عن الفصل
مجلة (المناهل) عـ 15 س 6 ص 392
شعبان 1399 يوليوز 1979 — وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية . (عدد خاص باليوسي)

جورجي زيدان

31 — تاريخ آداب اللغة العربية

ج 3 ص 306 نشر د. شوقي ضيف (دار الهلال)

حسن جلاب

32 — أبو عبد الله محمد المرابط الدلائي

(ورد ذكر اليوسي في أماكن متفرقة)

رسالة جامعية حصل بها صاحبها تحت إشرافي على دبلوم الدراسات العليا من كلية آداب جامعة محمد الخامس بالرباط ، بعد أن نوقشت يوم 25 فبراير 1978 (لم تنشر بعد)

الحسن السايح

33 — دفاعاً عن الثقافة المغربية

ص 240 — 241

ط دار الكتاب — الدار البيضاء 1968

حسن الوراكلي

34 — زهر الأكم في الأمثال والحكم

مجلة دعوة الحق عـ 3 دسمبر 1963

وزارة الأوقاف — المغرب

خير الدين الزركلي

35 — الأعلام

ج 2 ص 237 ط الثالثة

دوكاستري **H. De Castries**

36 — سبعة رجال

Les sept patrons de Marrakech Hespéris T IV 1924 3° *trim pp* 245 - 303 (*pp* 260 - 264).

G. Deverdun **دوفردان**

37 — *Marrakech* (*des origines à* 1912) *I. Texte éd. Techniques nord - Africaines - Rabat* 1959 *pp* 565 - 572 - 574.

ROSEN **روزن**

38 — *Collections scientifiques de l'Institut des langues Orientales de St. Petersburg I* p 86 - 87.

سليمان الحوات

39 — البدور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية مخطوط خزانة الرباط العامة 261 د ص 224

40 — السر الظاهر فيمن أحرز بفاس الشرف الباهر من أعقاب الشيخ عبد القادر

(نقل عن تأليف والده محمد بن عبد الله الحوات المسمى : « تحفة المعاصر في بعض صالحي تلامذة أبي عبد الله محمد بن ناصر ») ط حجرية

سليمان العلوي — السلطان (ينسب له)

41 — عناية أولى المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد

ص 40 — 64 المطبعة الجديدة . فاس 1347

شاد محمد

42 — الأدب الصوفي عند أبي علي اليوسي

(بحث تقدم به تحت أشرافي لنيل الإجازة في الأدب العربي من كلية آداب فاس سنة 1969 — 1970) مرقون

الشاذلي السعدية

43 — ترجمة الفصل الثامن والتاسع من كتاب (اليوسي) لجاك بيرك مع مقدمة دراسية .

(بحث تقدمت به تحت إشرافي لنيل الإجازة في الأدب العربي من كلية آداب فاس ـ سنة 1972 — 1973) مرقون

عباس بن ابراهيم

44 — إظهار الكمال في تتميم مناقب سبعة رجال
مخطوط المكتبة الملكية بالرباط 232 ص 226 — 227

45 — الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام
ج 3 ص 154 — 163 المطبعة الملكية — الرباط 1975 (نقل فيه عن « إفادة النبيه من ادعى الاجتهاد أو ادعى فيه).
ج 6 ص 5 (ترجمة ولده محمد اليوسي)

عباس الجراري

46 — الأدب المغربي من خلال ظواهر وقضاياه
ج 1 ص 4
نشر دار المعارف — الرباط 1399 — 1979

47 — بيوببليوغرافيا اليوسي أو سيرته الببليوغرافية (النشرة الأولى للقسم الثاني من هذا الكتاب)
مجلة المناهل عـ 15 س 6 ص 54 — شعبان 1399 يوليوز 1979 وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية — المغرب (عدد خاص باليوسي)

48 — القصيدة (الزجل في المغرب)
ص 194 ط الأولى — الرباط 1390 — 1970

49 — اليوسي بين الامتياح من الذات والانصهار في المجتمع (النشرة الأولى للفصل الثاني من القسم الأول من هذا الكتاب)
مجلة المناهل عد 17 س 7

عبد الحي الكتاني

50 — رسالة اليواقيت الثمينة في الأحاديث القاضية بظهور سكة الحديد ووصولها إلى المدينة.

ص 22 — 27 مطبعة جوردان — الجزائر 1329هـ

51 — فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ج 2 ص 464 و 165

المطبعة الجديدة — فاس 1347

عبد الحي محمد المنيف (باحث تونسي)

52 — تحقيق ديوان اليوسي

نال به دبلوم الدراسات العليا (دكتوراه السلك الثالث) من جامعة الجزائر، كما أحرز به جائزة المغرب سنة 1969 لم أطلع عليه ولا أعرف أنه طبع

عبد الرحمن بن زيدان

53 — إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

ج 1 ص 14 — 75 — 135 — 325 — 340 — 342

ج 3 ص 32 — 42 — 49

ج 4 ص 49 — 86 —

ج 5 ص 398 — 403 — 426

الطبعة الأولى — الرباط 1349 — 1931

54 — إحياء العلوم وازدهارها في عصر الدولة العلوية

مجلة المغرب — السنة الخامسة — رمضان شوال 1355 نوفمبر دسمبر 1936 ص 7

55 — الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة
ص 12 — 15 — 36 — 120
المطبعة الاقتصادية — الرباط 1356 — 1937

56 — المنزع اللطيف في التلميح لمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف
مخطوط خزانة الرباط العامة ج 595 ص 308 ، وأماكن أخرى
وردت فيها بعض فتاويه (انظر القسم الخاص برسائل اليوسي وفتاويه من
هذه السيرة البيبليوغرافية)

عبد الرحمن الجبرتي

57 — التاريخ المسمى عجائب الآثار في التراجم والأخبار
ج 1 ص 68 ط مصر 1297

عبد الرحمن الفاسي

58 — الإمام اليوسي في حله ومباذله
مجلة (المناهل) عـ 15 س 6 ص 149 شعبان 1399 — يوليو
1979 — وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية — المغرب (عدد خاص
باليوسي)

عبد السلام بن سودة

59 — دليل مؤرخ المغرب الأقصى
ينظر فيه بعض إنتاج اليوسي (الفهرس ج 2 ص 596)
ط دار الكتاب — الدار البيضاء

د. عبد السلام الهراس

60 — جانب من شخصية الشيخ اليوسي ورسالته

مجلة (المناهل) عـ 15 س 6 ص 311 شعبان 1399 — يوليو 1979 — وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية — المغرب (عدد خاص باليوسي)

عبد الصمد بن التهامي جنون

61 — كتاب الجراب الجامع لأشتات العلوم والآداب

ص 27 — 42 — 52 — 113

ط بدون الإشارة إلى المكان والتاريخ

62 — كتاب النسق الغالي والنفس العالي (شرح نصيحة أبي العباس الهلالي)

ص 363 — 364 — 414

مطبعة الكيلاني — القاهرة 1973

عبد العزيز بن عبد الله

63 — الفكر الصوفي والانتحالية بالمغرب (الحلقة الثالثة)

مجلة (البينة) س 1 عـ 7 ص 63 عام 1962 (المغرب)

عبد القادر زمامة

64 — أبو علي اليوسي : هموم واهتمامات

مجلة (المناهل) عـ 15 س 6 ص 375 شعبان 1399 — يوليو 1979 — وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية — المغرب (عدد خاص باليوسي)

عبد القادر الصحراوي

65 — على هامش رسائل الحسن اليوسي إلى مولاي اسماعيل

مجلة (دعوة الحق) عـ 4 س 12 ذو الحجة 1388 — مارس 1969 — وزارة الأوقاف — المغرب

عبد الكبير بن عبد المجيد الكثيري الحسني المدعو عليوات الزجني

66 — سراج الغيوب في أعمال القلوب

مخطوط خزانة الرباط العامة كـ 455 السفر الأول — المقدمة ص 1 — 2

عبد الكبير المدغري

67 — الفقيه اليوسي أبو علي الحسن بن مسعود

رسالة جامعية قدمها صاحبها لنيل دبلوم الدراسات العليا من دار الحديث الحسنية عام 1976 (لم أطلع عليها)

عبد الكريم الفيلالي

68 — التاريخ المفتري عليه في المغرب

ورد ذلك اليوسي في أماكن متفرقة (انظر ص 213)

مطبعة الصومعة — الرباط — دجنبر 1969

د. عبد اللطيف السعداني

69 — إني أوصي أولادي

مجلة (المناهل) عـ 15 س 6 ص 326 شعبان 1399 يوليو 1979 — وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية — المغرب (عدد خاص باليوسي)

عبد الله الجراري

70 — رحلتي الصيفية

ص 54 — مخطوطة المؤلف

71 — شذرات تاريخية

ص 185 — 187

الطبعة الأولى 1396 — 1976

72 — الشيخ المبدع محمد بن عبد السلام السايح (شخصيات مغربية 4) ص 38 مطبعة النجاح الجديدة — الدار البيضاء 1399 — 1979

73 — المحدث المحافظ أبو شعيب الدكالي (شخصيات مغربية 1) ص 108 مطبعة النجاح الجديدة — الدار البيضاء 1396 — 1976

74 — هذه مذكراتي

المجلد الثاني ص 141 (نسخة مرقونة خاصة)

عبد الله جنون

75 — أدب الفقهاء

ص 145 — 148

ط دار الكتاب اللبناني — بيروت

76 — خل وبقل

ص 273 إلى 277

المطبعة المهدية — تطوان

77 — المنتخب من شعر ابن زاكور

(المقدمة ص 11 — 12)

ط دار المعارف — مصر 1966

78 — النبوغ المغربي في الأدب العربي
ج 1 ص 285
ط دار الكتاب اللبناني — بيروت

د. عبد الله العمراني

79 — مولاي اسماعيل بن الشريف : حياته السياسية — مآثره
ص 127 — 128
الطبعة الأولى — تطوان 1398 — 1978

عبد الملك التجموعتي

80 — خلع الأطار البوسية عن الأسطار اليوسية
يرد فيه على تعقيب اليوسي على إجابته أحمد الحلبي في مسألة العلم النبوي
مخطوط خزانة الرباط العامة ح 115 من ص 373 إلى 445 مع طرر وتعاليق لمحمد الحجوي

د. عبد الهادي التازي

81 — بطاقة في منتهى الطاقة
مجلة (المناهل) عـ 15 س 6 ص 287 شعبان 1399 — يوليو 1979 — وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية — المغرب (عدد خاص باليوسي)

82 — جامع القرويين
م 3 ص 795
الطبعة الأولى 1972 — دار الكتاب اللبناني — بيروت

عزيز سلام

83 — ثلاثة قرون وعشر سنوات من تاريخ الدولة العلوية ص 27 — 29

وزارة الأنباء — مطبعة فضالة

علال الفاسي (انظر : أبو المحاسن)

علي بن محمد علي العكاري

84 — مناقب الشيخ علي العكاري

أورد إجازة اليوسي له

مخطوط خزانة الرباط العامة 88 د ص 2 — 38

عمر رضا كحالة

85 — معجم المؤلفين

أشار إلى فهارس عدد من الخزائن والمكتبات تضم بعض كتب اليوسي كالخديوية والتيمورية والأزهرية ودار الكتب المصرية والظاهرية بدمشق

ج 3 ص 294

نشر مكتبة المثني ببيروت ودار إحياء التراث العربي ببيروت

فاطمة خليل

86 — رسائل أبي على الحسن بن مسعود اليوسي

رسالة جامعية حصلت بها صاحبتها تحت إشرافي على دبلوم الدراسات العليا من كلية آداب جامعة محمد بن عبد الله بفاس بعد أن ناقشتها في 8 أبريل 1978.

قيد الطبع

CH. DEFOUCAULD **فوكـو**

87 — *Reconnaissance au Maroc p* 38 *Paris* 1888.

لجنة الاحتفال بموسم اليوسي

88 — نشرة عن اليوسي

الملحق الأسبوعي لجريدة (العلم) العدد 459 السبت 11 ذي القعدة 1398 موافق 14 أكتوبر 1978

مجهـول

89 — إجازة لأبي علي الحسن بن مسعود اليوسي

موجودة ضمن مجموعة بالزاوية الحمزاوية

ذكرها الأستاذ محمد المنوني في المقال الذي عرف فيه بما في هذه الزاوية ، مشيرا إلى أنه لم يذكر اسم المجيز الذي هو من الآخذين عن تلاميذ القصار والمنجور.

مجلة (تطوان) عـ 8 س 1963 ص 160

مجهـول

90 — كناشة

نقل صاحبها ترجمة اليوسي عن « المنح البادية »

ص 73 — مخطوطة خاصة للكاتب

Mohammed Lakhdar **د. محمد الأخضر**

91 — *La vie littéraire au Maroc sous la dynastie des Alawites pp* 95 - 107. *éd. techniques nord - Africaines Rabat* 1971.

92 — الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية (ترجمة

نفس الكتاب)
ص 122
ط دار الرشاد — الدار البيضاء— ط الأولى 1977

محمد أكنسوس

93 — الجيش العرمرم
ص 60 — 78
ط حجرية

محمد الأمري

94 — أبو علي الحسن اليوسي
مجلة (الثقافة المغربية)
ع 8 سنة 1973 ص 52 — 62

95 — أبو علي الحسن اليوسي
الملحق الأسبوعي لجريدة (العلم)
العدد 459 السبت 11 ذي القعدة 1398 موافق 14 أكتوبر 1978

محمد البشير ظافر الأزهري

96 — كتاب اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة
ص 133 — 134
ط الملاجئ العباسية — 1324

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي

97 — المورد الهني بأخبار مولاي عبد السلام بن الطيب القادري الحسني
مخطوط خزانة الرباط العامة كـ 1234 ص 231

محمد بن أحمد الحضيكي

98 — مناقب

ج 1 ص 195

الطبعة الأولى — المطبعة العربية — الدار البيضاء 1355

محمد بن أحمد الشاذلي (أكمله محمد البكري)

99 — شرح القصيدة الرائية في رثاء الزاوية الدلائية

المقدمة ص 1 — 2

مخطوط خزانة الرباط العامة كـ 248

محمد بن تاويت

100 — شعر الحسن اليوسي

مجلة (المناهل) عـ 15 س 6 ص 230 — شعبان 1399 يوليو 1979 — وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية — المغرب (عدد خاص باليوسي)

محمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي

101 — الأدب المغربي

ص 337 ط دار الكتاب اللبناني ط الأولى 1960

محمد بن جعفر الكتاني

102 — سلوة الأنفاس

ج 3 ص 81 ط حجرية

محمد بن الحسن الحجوي

103 — الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي

الربع الرابع ص 117

مطبعة النهضة — تونس

محمد بن زاكور

104 — الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقي القريض
(ديوان) مخطوط بخزانة الرباط ك 357 ص 7 — 38 — 92 —
115 — 224 — 226 — 273

105 — نشر أزاهير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان
ص 88 — المطبعة الملكية — الرباط 1387 — 1967

د. محمد بنشريفة

106 — أمثال العوام في الأندلس لأبي يحيي الزجالي
القسم الأول : دراسة ص 191 — 195
مطبعة محمد الخامس — فاس 1395 — 1975

محمد بن شنب وبروفنسال **Mohammed Ben Cheneb - L. Provençal**

107 — *Essai de répertoire chronologique des éditions de Fès - Revue africaine* 1922 *n°* 81 - 142 - 293.

محمد بن الطيب الصميلي الشركي

108 — عيون الموارد السلسلة من عيون الأسانيد المسلسلة
مخطوطة المكتبة الملكية بالرباط 10916 الورقة 36 — 37

محمد بن الطيب القادري

109 — التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار أعيان المائة الثانية والحادي عشر
مخطوط خزانة الرباط العامة 676 د ص 64

110 — حوليات نشر المثاني
ت د. نورمان سيكار
نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي بالمغرب 1978

111 ـ ـ نشر المثاني

ج 2 ص 142 ط حجرية

112 ـــ نشر المثاني (الكبير)

ج 2 ابتداء من الورقة 26 ظ

مخطوط خزانة الرباط العامة كـ 2253

محمد بن عبد الرحمن الفاسي (المعروف بالصغير)

113 ـــ المنح البادية في الأسانيد العالية والمسلسلات الزاهية

مخطوطة بالمكتبة الملكية 1227 (الزيدانية) غير مرقمة ، وكذلك 5165 غير مرقمة أيضاً.

وفي خزانة الرباط العامة توجد نسخة مبتورة رقمها كـ 1249

محمد بن عبد القادر الكلالي الحسني المعروف بالكردودي

114 ـــ الدر المنضد الفاخر فيما لأبناء مولانا علي الشريف من المحاسن والمفاخر

مخطوط خزانة الرباط 1584 د الورقة 216 ظ إلى 218 و

محمد بن عبد الكريم العبدوني

115 ـــ يتيمة العقود الوسطى في مناقب الشيخ سيدي المعطي

مخطوطة بخزانة الرباط العامة ك 305 ص 188

محمد بن علي الحسني الزيادي

116 ـــ دوحة البستان ونزهة الإخوان في مناقب سيدي علي ابن عبد الرحمن.

مخطوطة بخزانة الرباط العامة 390 د ص 113 ـــ 207

محمد بن علي الدكالي السلوي

117 — كناشة

مخطوطة بخزانة الرباط العامة ج 91 ص 45 — 46 — 95 — 112 — 186 — 187 — 207 — 209

محمد بن علي دينية

118 — مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط

مخطوطة المكتبة الملكية بالرباط 779

ج 1 ص 83 (لدا ترجمة علي العكاري)

119 — واسطة العقد النضيد في شرح حديث التجديد

ص 30 ط الأولى — الرباط 1347

محمد بن الفقيه أبو بكر اليازغي

120 — حدائق الأزاهر الندية في التعريف بأهل الزاوية الدلائية (منظومة) وردت في أول « البدور الضاوية » (مخطوطة خزانة الرباط العامة 261د)

محمد بن محمد مخلوف

121 — شجرة النور الزكية في طبقات المالكية

ص 328 ط دار الكتاب العربي بلبنان (مأخوذة عن الطبعة الأولى 1349)

محمد بن موسى بن محمد الناصري الدرعي

122 — الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة أو كشف الروعة في التعريف بصلحاء درعة

مخطوط بخزانة الرباط العامة ك 265 ص 35 — 53

محمد بن الموقت المراكشي

123 ـــ السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية
ج 1 ص 136 ط حجرية (لدا ترجمة شيخه محمد المزوار)

محمد بوجندار

124 ـــ الاغتباط بتراجم أعلام الرباط
مخطوط خزانة الرباط العامة 1287 د ص 14(لدا ترجمة أحمد بن يحيي والزهرا وذكر إجازة العكاري له)

محمد الحبيب بن عبد القادر الحسني السجلماسي

125 ـــ شرح منظومة الهلالي في الأسماء الحسني
تعرض فيه للخلاف بين اليوسي والتجموعتي في قضية العلم النبوي.
وعنه نقل عبد الحي الكتاني في «رسالة اليواقيت الثمينة» ما أورد في الموضوع
لم أقف على هذا الشرح

د. محمد حجي

126 ـــ الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين
ج 2 ص 503 وأماكن أخرى (انظر ص 706)
منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر (سلسلة التاريخ 2)
1396 ـــ 1976

127 ـــ الحسن اليوسي اللغوي
مجلة (المناهل) عـ 15 س 6 ص 211 شعبان 1399 يوليوز 1979
وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ـــ المغرب
(عدد خاص باليوسي)

128 — الزاوية الدلائية
ص 97 إلى 108
المطبعة الوطنية — الرباط 1384 — 1964

129 — المحاضرات لليوسي
تقديم الطبعة الجديدة ص 4
مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر (سلسلة الأدب 1)
الرباط 1396 — 1976

محمد داوود

130 — تاريخ تطوان
م 1 ق 3 ص 411
ط تطوان 1379 — 1959

محمد زنيبر

131 — الصورة التاريخية للمثقف المغربي : ابن زاكور على حقيقته
مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية — جامعة محمد الخامس الرباط
العدد 3 — 4 (مزدوج) 1978

132 — اليوسي فكر قوي وراء شخصية قوية
مجلة (المناهل) عـ 15 س 6 ص 260 شعبان 1399 يوليو 1979
وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية — المغرب
(عدد خاص باليوسي)

محمد السايح

133 — المنتخبات العبقرية
ص 52 — المطبعة الرسمية — الرباط 1920

محمد الصغير اليفرني

134 — روضة التعريف بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف

ص 15 — 33 — 38

المطبعة الملكية — الرباط 1382 — 1962

135 — كتاب صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر

ص 206 ط حجرية

136 — نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي

ص 284 نشر هوداس — الطبعة الثانية —

مكتبة الطالب — الرباط

محمد الضعيف الرباطي

137 — تاريخ الدولة السعيدة

مخطوط خزانة الرباط العامة 758 د

ابتداء من الورقة 23 و

محمد الطالب بن الحاج

138 — رياض الورد إلى ما انتهى إليه هذا الجوهر الفرد

مخطوط خزانة الرباط العامة 111 د ص 21

محمد العربي بن داوود

139 — الفتح الوهبي في مناقب الشيخ أبي المواهب مولانا العربي

مخطوط خزانة الرباط العامة ك 2312 ص 507

محمد العربي الخطابي

140 — الحسن اليوسي من خلال المحاضرات

مجلة (المناهل) عـ 15 س 6 ص 114 شعبان 1399 — يوليو 1979 — وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية — المغرب (عدد خاص باليوسي)

141 — من أعلام المغرب : الحسن اليوسي

مجلة (الفيصل) س 3 عـ 31 محرم 1400 دسمبر 1979 — المملكة العربية السعودية

محمد العربي المساري

142 — معْ اليوسي في المحاضرات : سيف العالم لسانه

الملحق الثقافي لجريدة (العلم) س 8 عـ 348 — 18 ربيع الثاني 1397 — 18 أبريل 1977.

Mohammed El Fassi **محمد الفاسي**

143 — *La littérature marocaine* (*MAROC*) *l'encycolopédie coloniale et maritime* p 534 *A Paris. éd. de l'empire français* 1948.

محمد الفاطمي الصقلي

144 — القانون لليوسي

تعريف بمؤلفه في أول الكتاب ص 1

وانظر كذلك آخره

محمد الكتاني

145 — ملامح الفكر السياسي عند الحسن اليوسي

مجلة (المناهل) عـ 15 س 6 ص 192 شعبان 1399 — يوليو 1979 — وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية — المغرب (عدد خاص باليوسي)

محمد المختار السوسي

146 — إيليغ قديماً وحديثاً

ص 69 — المطبعة الملكية — الرباط 1386 — 1966

147 سوس العالمة

ص 38 — 67 مطبعة فضالة — المحمدية 1380 — 1960

148 — المعسول

ج 5 ص 21 — 22

مطبعة النجاح الجديدة — الدار البيضاء 1380 — 1961

محمد المنتصر الريسوني

149 — شخصيات من بلادي : العالم الشاعر

جريدة (الحسني) الأسبوعية

العدد 40 إلى 48 — السنة الأولى 1962 — 1382 — المغرب

محمد المنوني

150 — ركب الحاج المغربي

ص 33 — 51 ط معهد مولاي الحسن — تطوان 1953

محمد المهدي

151 — أبو علي اليوسي في المناهل

جريدة (المحرر) عـ 1636 الأربعاء 21 رمضان 1399 موافق 15 غشت 1979

نجاجي البتول

152 — ترجمة الفصل الرابع والخامس من كتاب (اليوسي) لبيرك مع مقدمة دراسية

بحث تقدمت به تحت إشرافي لنيل الإجازة في الأدب العربي من كلية آداب فاس سنة 72 — 73 (مرقون)

د. نقولا زيادة

153 — صفحات مغربية

فصل 9 (اليوسي المغربي)

ص 92 إلى 104 — دار الطليعة — بيروت

154 — لمحات من تاريخ المغرب

فصل 3 (اليوسي المغربي)

ص 303 إلى 306 — دار الكتاب اللبناني — بيروت

يوسف سركيس

155 — معجم المطبوعات العربية والمعربة

ج 2 ص 1959

* * *

تجدر الإشارة في ختام هذه السيرة البيبليوغرافية إلى وجود خط اليوسي، متمثلاً في تمليك كتبه على « شفاء السائل » لابن خلدون (مخطوط المكتبة الملكية رقم 3396 ص 1)، هذه عبارته : « لعبيد الله تعالى الحسن بن مسعود اليوسي كان الله له ».

وبأسفله كتب ولده بخطه : « ثم صار إلى أحوج العباد إلى الله تعالى عبد الكريم بن الحسن اليوسي كان الله له آمين عام ستة وعشرين ومائة وألف ».

فهرس

عبـاس الجـراري

عباس الجراري

دكتور دولة في الآداب – أستاذ التعليم العالي — كرسي الأدب المغربي – كلية الآداب — جامعة محمد الخامس – الرباط المغرب — صدرت له الكتب الآتية :

في الأدب المغربي :

* موشحات مغربية
* الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحدي
* النضال في الشعر العربي بالمغرب من 1830 إلى 1912
* قضية فلسطين في الشعر المغربي حتّى حرب رمضان
* وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ
* ثقافة الصحراء
* الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه ج 1
* عبقرية اليوسي .

في الأدب الأندلسي

* فنية التعبير في شعر ابن زيدون

في الأدب العربي والإسلامي

* من أدب الدعوة الإسلامية
* في الشعر السياسي
* صفحات دراسية من القديم والحديث

في التراث والأدب الشعبي

* القصيدة (الزجل في المغرب)
* من وحي التراث
* معجم مصطلحات الملحون الفنية

في الفكر والثقافة :

* الحرية والأدب
* الثقافة في معركة التغيير

الفكر الإسلامي والاختيار الصعب.

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء

« اَللَّهُمَّ اجْعَلْهُ عَيْناً يَسْتَقِي مِنْهَا أَهْلُ المَشْرِقِ وَأَهْلُ الْمَغْرِبِ »

محمد بن ناصر الدرعي
في دعاء لليوسي
(المحاضرات ص 30 ط حجرية)

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء